القورجة
نشأتها وتطورها فى عمارة الأندلس الحربية

دكتور

كمال عنانى إسماعيل

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

القورجه أصولها وتطورها.

ميز أهل الأندلس بين الألفاظ الدالة علي بعض المباني والعناصر المعمارية العسكرية وفقا لوظائفها وطبيعتها. ومن بين هذه العناصر القورجه التي احتلت مكانة بارزة بين عناصر العمارة الأندلسية فهي من الابتكارات التي أهتدي إليها المعماريون الأندلسيون. ويشهد بذلك أن اسم القورجه الذي أطلقه أهل الأندلس علي أحد عناصرهم الحربية انتقل إلي اللغة الأسبانية بنفس النطق العربي [1] ونقلا عنه دون ترجمه علي ثلاث صور: 1- qawraya. 2- caurca. 3- coracha وأن اختلف رسم حروف الكلمة في الكتابة نتيجة تعدد اللهجات المحلية بحيث استقر في النهاية في كل المدونات المسيحية التي ترجع إلي قبل وبعد حركة الاسترداد المسيحي ، وفي المراجع الإسبانية الحديثة علي صورتين هما[2]: 1- coracha. 2- cauraca.

وهكذا لم يكن استيلاء النصاري علي الأندلس مؤذنا بتغير هذا الاسم واختفاؤه إذ ظل سائدا بين أهالي قشتاله بعد خروج المسلمين من شبه جزيرة إيبريا[3].

([1]) يختلف المعني اللغوي للقورجه عن معناه الاصطلاحي إذ ورد في القواميس الأسبانية بمعني كيس من الجلد أو الفلين.

Corriente (F): Nvevo Diccionario Espanol arabe; Madrid. 1988, p. 330.
- Reda (Yusscef): Al-Muin Dicconario Espanol Arabe, Libean. 1993-p, 175.

([2]) Luis (seco de lucena paredes): Acerca de qawraya de la Alcazaba vieja de Granada en Al andalus. V, XXXIII. Madrid. 1968, p. 197 Not. 3, 4, 6.
- Ambrosio (Huizi Miranda): Historia politica del imperio Al mohades, Tetuan, 1956. p, 140.
- Leopoldo (Torres Balbas): las ciudades Hispano Musulmanas, Madrid. 1971. t, 2, p. 37.

([3]) Ricard (Robert): complement sur la couraca – Coracha y nouveaux. Alandalus, V,XX, p. 1955, pp. 452-454.

ولهذا فليس غريبا أن تترك القورجه في أسبانيا والبرتغال آثار آ باقية تؤكد أنها كانت من أهم عناصر المنشأت الحربية التي نبتت ببلاد الأندلس. ثم تنوعت أثر مرحلة طويلة من النمو والتطور في تحصيناتها شأنها في ذلك شأن العديد من العناصر الحربية، وذلك لأسباب عديدة أهمها تدعيم النظم الدفاعية أمام خطر الاستردا د المسيحي لا سيما في عصر الموحدين أكثر العصور التاريخية الأندلسية نشاطا في مجال العمارة الحربية حيث شهد هذا العصر تجديد وإضافة عدد هام من المنشأت الدفاعية السابقة علي عصر الموحدين نذكر منها تجديد ما تبقي من أسوار أشبيلية وقرطبة وجزء من سور غرنا طه وغيرها من تحصينات المدن الأندلسية.

ومع أن العلماء يكادون يتفقون علي أن الفضل في تصميم هذا العنصر يرجع لبلاد الأندلس فإنه حتي عهد قريب كان الظن بأن نظام القورجه لم ينتشر في العمارة الحربية الأندلسية ولم يتردد ذكره في المصادر العربية إلا منذ القرن 8هـ/ 14 م وحتي القرن 10هـ 16م[1]. غير أن الدراسة الدقيقة لهذا النظام في بطون المصادر العربية تشير إلي أنه ظهر منذ عصر الموحدين أي قبل هذا التاريخ بما يزيد عن قرن ونصف من الزمان حيث نشهده في قصبة مدينة بطليوس.

ويؤكد ذلك نص لابن صاحب الصلاة جاء فيه أنه في عام 564هـ/ 1168م أمر الشيخ أبي حفص ولده الحافظ أبو يحي بالتوجه إلي مدينة بطليوس ليتولي أمرها [وأمره بحفر بئر في داخل قصبه مدينة بطليوس

- Ricardo: Brafe complements. Sur couraca- Coracha. Al andalus, V, XXVI, 1961, pp. 467- 468.
- Roman (Ricard): couraca et coracha, Al andalus. V,XIX, Madrid, 1954, pp. 148-149.

([1]) Seco de lucena: op.cit., p. 200.

- Pavon Maldonado (Basilio): Tratado de Arqitectura Hispano musulmana, Madrid, 1990, p. 365.
- Roman (Ricard): couraca ET coracha, p. 156.

يسرب إليها ماء الوادي استعدادٍ لما يخالف من الآفات والمنازلات ... وجد في حفر البئر المذكور بالعدانين والفعلة في ذلك وهي المعروفة عند العامة. بالقورجه وجلب الماء إليها فتحصنت القصبة وقويت بها النفوس الآمنة] [1].

ولأهمية هذا النص الذي ساقه ابن صاحب الصلاة عن تاريخ ومراحل بناء هذه القورجه قمت بحصر أمثلة القورجات في مختلف مدن الإندلس من خلال ما ورد عنها في المصادر العربية والمراجع الأوروبية والمخططات التي وضعت لها فبل غت نحو خمس وعشرون قورجه[2]، وقد تبين لي من خلال هذه الدراسة الإحصائية أنه لا يوجد من بينها مثل واحد متكامل العناصر يرجع إلي ما قبل عصر الموحدين، وعلي هذا الأساس نستطيع أن نقرر أن نشأة القورجه يرجع إلي عصر الموحدين الذي اجتمعت فيه ببلاد الأندلس أقدم الأمثلة الباقية والمندرسه منها. وسواء كان الفضل في ابتكارها يرجع إلي بناة قصبة بطليوس خلال هذا العصر أو إلي غيرهم من نفس العصر بأي بلده من بلدان الأندلس فإن البحث في بطون المصادر العربية والمدونات المسيحية يصل بنا إلي أن أقدم مثل إسلامي معروف ورد عنه خبر واضح في تلك المصادر هو قورجه قصبه بطليوس المؤرخة بعام 564هـ/ 1168م.

([2]) ابن صاحب الصلاه (عبد الملك): المن بالإمامه. تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1987، ص 306.

([2]) Simancas (Manuel Gonzalez): plazas de Guerra y castillos Medievales de la fronter de portugal, en Revista de Archivees, XXII, pp. 332-337.

- Pavon Maldomado: opcit., p.367.
- Ricard Robert: complemente sur la courcaca, pp. 452-455.
- Torres Balbas: la Alcazaba almohade de Badajoz. Cronica arqueologica de Espana musulmana VIIV. Alandalus, vol, VI, 1941, pp. 168-202.
- juan (de Mcarriazo): las Murallas de sevilla Archivo Hispalense N. 48-49, 1951, pp. 9-10.

أما عن مصدر هذا الابتكار واصل نشأته، فيجدر بنا أن نؤكد علي ما سبق التأكيد عليه من قبل من أنها كانت ابتكاراً أندلسياً أصيلا ليس فقط لأن أقدم الأمثلة موجودة ببلاد الأندلس بل لأن أساس المصطلح المعبر عنها بعناصره التي سوف نتناولها فيما بعد ظهر كما سبق الإشارة ببلاد الأندلس ومنها انتقل إلي شمال أفريقيا والبرتغال منذ القرن 10هـ/ 16م حيث شاع استخدامها بشكل استلفت نظر الأستاذ رومان ريكارد فقام بحصر نماذجها في مختلف بلاد المغرب [1] والبرتغال [2] علاوة علي أشهر أمثلتها في الأندلس [3]. وفي ضوء هذه الدراسة نستطيع أن نقرر بأنه لا يوجد مصدر صريح لهذا النوع من العناصر الحربية يمكن القول بان المسلمين تأثروا به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فلم يسبق أن ظهر في بلد من البلدان بهذا الشكل الذي ظهر به في قصبه بطليوس ولم تشيد قورجات شبيهه بها في أي عصر من العصور التي سبقتها منذ العصر الروماني وأنتهاء بالعهد القوطي في أسبانيا، وهكذا يتضح أن الأصل الإسلامي لنظام القورجه ثابت بأدلة قويه، وأنه لم يتشعب من مصدر روماني أو بيزنطي أو قوطي أسباني .وإذ كان من هؤلاء من سبق بناة الإندلس إلي تشيد قورجات فإنه لم يسبقهم أحد إلي أطلاق هذا المسمي علي هذا التصميم المعماري الذي يتألف من جمله عناصر سوف نتناولها بالدراسة فيما بعد.

المدلول الوظيفي والمعماري للقورجه:

([1]) Roman Ricard: Couraca et coracha , pp. 160-170.
([2]) Ibid., pp. 150-155.
([3]) Ibid., pp. 155-159.

سبقت الإشارة إلي أن بناة الأندلس أظهروا قدره فائقه في ابتكارهم لعنصر جديد وهو القورجه، وسنري أن تفكيرهم لم يقف عند شكل معين لهذا العنصر وأنما أعملوا حيلتهم في تطويره، ومن هنا حدث خلط وعدم فهم لمعنى القورجه الحقيقي نتيجة تغير مفهومها عبر العصور المختلفة وعدم ضبط حروف الكلمة العربية كما وردت في النصوص العربية عند نقلها وترجمتها سواء في المدونات المسيحية القديمة أو في المراجع الأوربية الحديثة أو علي خرائط المدن وصورها التاريخية. فتارة يطلقون علي السور الأمامي الذي يتقدم السور الرئيسي أسم قورجه وتاره يطلقون علي الفراغ الواقع بين السورين ذات الاسم. كما أطلقوا عليها أسماء أخري مثل الفصيل Alficen والحزام ALhizam وبربخانه Barbacana[1].

وكثيرا ما سجلت هذه الأسماء بهذه الصفة للتعبير عن القورجه علي خرائط المدن وصورها القديمة [2] ربما كان ذلك من باب أطلاق الجزء على الكل أو بسبب عدم نضوج فكرة القورجه في أذهان من رسموا هذه الخرائط علي النحو الذي سوف نوضحه.

وأخيرا فإن الأستاذ توريس بلباس أوضح علي نحو إجمالي من خلال دراسته المقارنة للقلاع الأندلسية معنى القورجه بأنها عبارة عن سور أمامي يخرج من سور المدينة الرئيسي ينتهي ببرج براني يقع عادة بجوار أحد مصادر المياه بحيث يسمح للقلعة أو المدينة المحاصرة بتلقي ما يلزمها

([1]) Carrero de dios (Manuel): las murallas y las puertas de toledo. Diputacion provincial. 1981, pp, 27-28.
- Angel Gonzalez (Palencia): los mozarabes de toledo en las siglos XII y XIII, Madrid 1926. vol, 2, p. 269.
- Pavon Maldonado (Basilio): Alficen de toledo consideraciones sbore las murallas islamicas y mudejares de la zona toledano al qantara. Vol. III 1983, p. 415, p. 432.

([2]) شكل (1).

من المياه بغير علم من القوات التي تحاصرها، ويضيف أنه في حالة عدم وصول أسوار المدينة إلي مصدر من مصادر المياه سواء كان نهرا او بحرا فأن الفصيل الواقع بين السور الأمامي والرئيسي يمكن القوات التي تحاصر المدينة أو الحصن من قطع المياه[1].

وقد أتفق معظم الباحثين علي هذا الرأي الذي أبداه الأستاذ توريس بلباس في تحديد معنى القورجه وأصبح هو الشائع والمقبول عندهم حتى الآن ولم يحاولوا أعادة النظر فيه.

ومن جانبي اتفق مع الأستاذ توريس بلباس وأخذ بالرأي الذي أوصلته إليه نتيجة دراسته لهذا العنصر، وأن كان هذا الرأي أو التفسير يعوزه أنه أختزل دور القورجه وأهميتها علي أنها مجرد وسيله لتوفير مصدر آمن للمياه. والحقيقة غير ذلك لأن التكوين المعماري لل قورجه يستجيب من حيث الموقع والخصائص المعمارية للطابع الحربي للقورجه من حيث أنها تغلق الطريق أمام العدو في أضعف مناطق الدفاع عن المدينة أو الحصن من خلال سور أمامي وبرج براني. فضلا عن أنها وسيلة من وسائل الاحتيال علي العدو في توصيل المياه دون المرور بالحصن أو المدينة في حالة الحصار فوظيفة القورجه إذاً تقوم علي منع اقتراب العدو من أضعف مواقع المدينة دفاعا وأسهل المنافذ المؤديه إليها.

وهكذا نلاحظ أن التفسيرات السابقة لا تنسجم مع وظيفة القورجه وأنواعها ونظامها التخطيطي علي النحو الذي سوف نوضحه لإنها أهملت

([1]) Torres Balbas: Las ciudades Hispano musulmanas,, , V, II. p. 535, pp. 54-542.
- Torres Balbas: Las Torres Al Barranas Al andalus V, VII, F.A.C.I, pp. 216-200.
- Torres Balbas: Arte Hispano musulman Hasta la caida del califato de cordoba. En Historia de Espana de menendes pidal, t, V, Madrid, 1957, p. 634.

البحث عن الدوافع العملية التي تدخلت في تكوين تخطيط القورجه فالمهم في أمور العمارة ليس مجرد الشكل بل الأهم من ذلك الوظيفة ؛ فالفكرة مرتبطة بضرورة معمارية دعت إلي أبتكار هذا الشكل.

أنواع القورجات ونظامها التخطيطي

الواقع أن ما وصلنا في المصادر العربية عن قورجات الأندلس يعد شحيحاً بحيث لا يعين علي دراستها أذ لم تزودنا بأي تفاصيل عن بنائها والصورة التي كانت عليها فعلي الرغم من أهمية المعلومات التي ساقها ابن صاحب الصلاه عن قورجه بطليوس التي سبق الإشارة إليها إلا أنه لم يذكر شيئا عن نظامها التخطيطي أو ما كان يتصل بها من ملحقات.

ومع ذلك نستطيع في ضوء المادة الهزيلة التي زودنا بها مؤرخو العرب فضلا عما جاء في المدونات المسيحية [1]. ومقارنتها بالبقايا الأثرية التي مازالت ماثلة في بعض المدن الأندلسية القول بأن بلاد الأندلس عرفت أنواعا من القورجات تختلف في موقعها ونظامها التخطيطي. فمن حيث الموقع يمكن تقسيمها إلي ثلاثة أنواع وهي.

1- النوع الأول :

فى هذا النوع تشغل القورجه موقعا منفصلا أو معزولا تماما عن أسوار المدينة الرئيسية [2].وفي هذه الحالة تؤدي وظيفة مزدوجة من حيث كونها حصن أمامي أو حزام براني للقلعة الرئيسية أو المدينة مثل قورجه القلعة الحره بقرطبه Coracha-calahorra[3] ،وفي قورجه قلعة بتراجو coracha

---

([1]) Ayala (Don pedro lopez): cronicas de los Reyes de castilla, Madrid, M.D.ac LXXIX. Ano 1368, pp. 526-530.

([2]) Pavon Maldonado: opcit, p, 374.

([1]) شكل (2).

Buitrago بمدريد [1] وقورجه قلعة كوربيره Coracha corbera ببلنسيه، وقورجه قلعة برغش Coracha Burgos[2]، وقورجه قلعة المنكب بالقرب من غرناطه Coracha Almunecar[3].

2- النوع الثاني : على العكس من النوع الأول نجد أن القورجه في هذا النوع تقع ضمن النطاق المسور للمدينة أو الحصن أو القلعة، فتشغل أحيانا وسط هذا النطاق أو جانب من جوانبه بحيث تمثل حلقة اتصال بين المدينه والحصن أو بين أجزاء الحصن نفسه كما هو الحال في قورجه قلعة ترجاله Trujilla وقلعة رباح Calatrava وقلعة جابراووادي إيره Alcala de Guadaira[4] ، وقورجه أسكالونا Escalona[5] بطليطله ، وقورجه مليجاكو [6] meLgaco بالبرتغال وقورجه غرناطة [7] التي تربط قصبه المدينة القد يمة بقصبة الحمراء[8].

3- النوع الثالث : أما النوع الثالث وهو الأكثر شيوعاً فتر بتط فيه القورجة بالسور الرئيسي للمدينة أو الحصن من خلال جدار أو جدارين متوازيين أقل ارتفاعا من السور الرئيسي بينهما درب أو دربين يمثلان حلقة الاتصال بينه

([2]) شكل (3).

([2]) Michel (Terrasse): Buitrago en Melanges de la casa de velazquez, Madrid, 1969, pp. 186-188.

([4]) شكل (4).

([5]) شكل (5).

([6]) شكل (6).

([7]) شكل (7).

([8]) شكل (8).

([9]) تقع القصبة القديمة في الجهة الغربية من المدينة جنوب ربض البيازين في حين تقع قصبة الحمراء في الجهة الشرقية من غرناطة حيث يفصل بين القصبتين نهر حدرو الذي تقوم عليه قنطرة القاضي أو سانتا آنه.

Buril (galiego): Grenade, Granada, 1954, p. 124.

Miranda (Ambrosio Huici): Historica politica del imperio Almohade, tetuan, 1956, pp. 200-201.

وبين السور الرئيسي [1]. وجردت العادة فتح ممر أو باب خوخة في الجدار الرابط على مقر به من برج برانى لتسهيل الاتصال بالسور الامامي ومن أشهر امثلة هذا النوع قورجة قصبة مارد هـ Merida[2] edellin[3]. وارجون Arjona[4]. ومالقة Malaga[5] بطليوس Badajoz[6]و المرية Almaria[7]وحصن منتقوط[8] Fortaleza deMontagudo بمرسية و حصن حصن بيلينيا [9] astillo de Belena بوادي الحجارة والقلعة الحرة Calahorra بجبل طارق[10].

ويبدو أن هذا النوع من القورجات قد استعاره الفرنسيون من العمارة الأندلسية حيث رشهد صوره مطابقة له في قلعة كاركاسونا Carcasona وتتضح هذه الحقيقة وضوحا تماما من النظر إلي شكل (رقم 17) الذي يمثل قورجة القلعة المذكورة كما أنه انتشرفى فنون العماره المدجنه على نحو مانراه فى قورجه جرسان مارتين بطليطه[11]

([1]) Pavon Maldonado:, op.cit., p. 367.

([2]) شكل (9).

([3]) Talero (Santiago de Morabes): Anales de la ciudad de Espana. Madrid, 1965, pp. 122-124.

([4]) شكل (1 ؛10 ؛11).

([5]) شكل (12).

(6) شكل (13).

([7]) شكل (14).

([8]) شكل (15).

([9]) شكل (16).

([10]) شكل (18).

وتجدر الاشاره ان ذكر هذه القورجه يقترن عاده بذكر حمام يعرف بحمام الكهف يقع بجوارها يرجع ايضا الى عهد المدجنين.

Ricardo: Couraca Et Coracha, p. 159.

= وتجدر الإشارة إلى أن الحرص علي تسوير مدينة طليطلة من جهتها الشمالية دون غيرها من الجهات أستمر بعد سقوط المدينة عام 478هـ/ 1085م. وقد بدأ الاهتمام بتحصين المدينة بسور بطوقها من

- الملامح العامة لتخطيط القورجات الأندلسية.

في ضوء ما تقدم يتضح أن الهدف من القورجه لم يكن تبني فكرتها كوسيلة من وسائل توفير المياه للقلعة أو الحصن أو المدينة وربطها بمصدر دائم للمياه. حسب ما انتهي إليه اغلب علماء الآثار الذين يدينون في هذا الرأي إلي الأستاذ توريس بلياس الذي أفاض في شرحه دون أن يجمع له من الحجج ما يزيده وضوحا. وإنما كان الهدف تطويرها كعنصر من عناصر الدفاع وتنويع مواقعها الأمر الذي أدي إلي اختلافها شكلا ونظاما ومساحة في تحصينات الأندلس من مدينة إلي أخري.

وبوجه عام عرفت بلاد الأندلس نظامين أو نمطين تخطيطيين للقورجات بحسب موقعها من المدينة أو الحصن.

أولا: نمط القورجات الداخلية:

يطلق علي هذا النظام في المصطلح الأسباني اسم Coracha Terrestre seca بمعني القورجات الأرضية الجافة، ويتمثل جوهر التخطيط في هذا النمط في أن القورجه لا تتصل بمصدر دائم للمياه سواء كان هذا المصدر عبارة عن نهر يخترق المدينة مثل غرناطه أو أن المدينة أو الحصن يقع علي ضفة نهر مثل قرطبة وأشبيليه وطليطله، وفي هذه الحالة يكون الاعتماد علي

الناحية الشمالية. ويمتد حتي جسر سان مارتين الذي أقيم مكان جسر القنطرة الإسلامية حيث أجرى الفرنسو العاشر تجديد فيه علي جانب كبير لأهمية بهذه القنطرة عام 647هـ/ 1249م ثم أكمل تجديدها بريماط اسبانيا المطران تينوريو عام 782هـ/ 1380م وكان يتقدم السور الرئيسي سور امامي تخرج منه قورجة تمتد حتي نهر تاج.

(شكيب إرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. نشر المكتبة التجارية فلس. الطبعة الأولي، 1936، ص 421.

وكذلك راجع.

Pavon maldonado: Al ficen de toledo cansideraciones sbore las Murallas islamica y Mudejares, Al qantara, vol, III, 1933, p. 432.

المياه من خلال آبار أو جباب تحفر في أرضيه القورجة التي تتميز في هذا النمط بصغر مساحتها وبساطة تخطيطها فهي عبارة عن نطاق مسور أو حزام داخلي مقسم إلي عدة أفنيه أو صحون متتالية تحميها الأسوار التي تدور حولها بحيث تشكل استحكاماً قويا يفصل منطقة القلعة أو الحصن أو القصبة عن باقي أجزاء المدينة. وكان ينفتح في أحد هذه الأسوار باب خوخه يستخدم في السيطرة علي القصبة أو الحصن في أوقات الحصار ومنع قيام أي ثورات فيها فضلا عن استخدامه في دخول العسكر الذين يتناوبون علي حماية الحصن. كما روعي فيه أن يكون منفذا يُمكن الحاكم من م غادرة المدينة والهروب منها في حالة نشوب ثورة مفاجئة.

وجرت العادة علي تسمية هذا الباب باسم باب القورجة نسبة إلي منطقة القورجة التي يفضي إليها مثل باب قورجه طليطلة [1] الذي عرف بتسميات أخري منها اسم باب الحصن [2] أو باب الخيل أو باب الجسر [3] أو باب الخيانة مثل باب قورجه قصبة مدينة مالقة [4] الذي يصل قصرها بقصبتها [5] كما ذكر سولانادي فيجرا Solana de Figuero الذي كتب فيما بين عام 1071– 1081هـ/ 1660م/ 1670م أن باب من أبواب مدينة

([1]) ورد ذكر باب القورجه في عدد من وثائق المستعربين بطليطلة نذكر منها وثيقة مؤرخة بالعام 915م. غير أن هذه التسمية لم يكتب لها الاستمرار لفترة طويلة حيث تغيرت عدة مرات وأصبح الآن يطلق عليه اسم باب الدم Carrero de Dios: Las Murallas y las Puertas, p. 51.

كمال عنانى إسماعيل: العمارة الإسلامية في طليطلة في العصر الإسلامي. مخطوط رسالة ماجستير، إسكندرية، 1989، ص 372. (لوحة 32).

([2]) ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) كامل في التاريخ، بيروت 1966، جـ6، ص 475.

([3]) النويري (أحمد بن عبد الوهاب محمد). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، ومحمد مصطفي زياده. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، جـ 23، ص 360.

([4]) Pedro Roman Martinz: La Muralla de zocodover de Boletine de la Academia de Bellas arts y ciencias. Historia de Toledo, N, 159, 1926, p. 454.

(5) لوحة (1).

بطليوس كان ينسب إلي قورجتها فكان يعرف باسم باب القورجه [1]. ومعظم القورجات التي تتبع هذا النظام في حصون الأندلس عبارة عن فراغ مستطيل غير منتظم الإضلاع يمتد فيه أو يحيط به ممرات مقببه تحملها عقود قائمة علي دعائم [2] أو أعمدة. وقد أدخلت تعديلات وإضافات ميزت قورجات كل عصر عن قورجات العصر السابق له أو اللاحق عليه، وقورجات كل مدينة عن المدينة الأخري. فنجد أحيانا القورجه مقسمه إلي أروقة أو ممرات عرضيه تقطعها أخري طولية [3] بحيث ينشأ من هذا التقاطع شكل صليب تتعامد عليه فراغات علي شكل إيوانات مربعة أو مستطيلة تعلوها قبوات مسطحة الرأس أو نصف أسطوانية [4] وتشغل الإضلاع الأربعة لتلك الفراغات جباب أو خزانات لتزويد الحصن أو المدينة بالمياه اللازم لها فضلاً عن تخليصها من مياه الأمطار التي تسقط وتتراكم داخل القورجة[5].

وقد تنقسم القورجه عن طريق الأروقة إلي حجرات أو أفنية متتابعة تتصل فيما بينها عن طريق مجاز طولي يؤدي إلي دهليز أرضي (مغيب في باطن الأرض). له أغراض وظيفته مختلفة منها اختصار الطريق من مكان إلي آخر وتسهيل عمليه الفرار من المدينة أو الحصن في أوقات الحصار أو الخطر[6].

---

(1)سحر السيد عبد العزيز سالم: مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية 261–627هـ/ 874–1230م. مخطوط رسالة دكتوراه، إسكندرية ، 1987، جـ2، ص 657.

([2]) شكل (19).

([3]) شكل (20).

([4]) شكل (21).

([5]) شكل (22–أ).

(6) شكل (22–ب).

وهناك نمط فريد من نوعه بين تخطيطات هذا الطراز من القورجات تتألف فيه القورجات من سلسله من الأسوار المتصلة المتتالية تضم بداخلها فناء أو حوش كبير تطل عليه جباب تتصل بمجموعه من مباني المنافع العامة أبرزها إسطبلات الخيل [1]. ويتمثل هذا النوع من القورجات فى قلعه منتانجش حيث يشغل الضلع الشمالي منها خمسة أسوار متصلة تضم بداخلها عدة جباب[2].

وقبل أن نتحدث عن نماذج من هذا النمط تنبغي الإشارة إلي أن فكرة الإبهاء المتتالية تمثل العنصر المشترك الغالب علي هذه النوع من القورجات بصورة المختلفة التي أشرنا إليها، وبالتالي يندر وجود نمط من أنماط هذا النظام بدون وجود الصحون أو الأبهاء المتتالية التي ربما تكون أقتباسا من أفنيه بعض مساجد القصاب المغربية التي ترجع إلي عصر الموحدين حيث تقترب إلي حد ما في تخطيطها من أفنية مسجد القصبة في مراكش الذي يتميز بوجود خمسة صحون الرئيسي في الوسط والأربعة الأخرى جانبية موزعة بواقع صحنين بكل مجنبه [3] وكذلك نشهده في مسجد حسان بالرباط، والذي يتميز بوجود ثلاثة أفنية [4]. الرئيسي يتقدم المسجد والآخران يشغلان طرفي مقدم الجامع.

([1]) شكل (3).

([2]) شكل (24).

([3]) شكل (25).

(4) شكل (26).

وقد ساد هذا النظام وانتشر في بعض الكنائس المسيحية في أفريقيا مثل كنيسة فاريانا[1] وكنيسة داموس الكريتا[2]. والتي تنقسم رحبتها إلي عدة أفنيه يتراوح عددها ما بين ثلاثة إلي تسعة أفنيه[3].

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن فكرة تعدد الأفنيه أو الأبهاء لم تنشأ في قورجات الإندلس ولم تكن مقصورة عليها وإنما ظهرت أولا في كنائس أفريقية المسيحية ثم في أفنية مساجد المغرب لاسيما مساجد القصاب أو الحصون، وربما تكون قد أنتقلت في عصر الموحدين عصر ابتكار القورجات من بلاد المغرب إلي الأندلس.

وحسبنا أن نشير إلي أهم النماذج التي صممت علي هذا النمط ومنها قورجة حصن ترجاله ،وقورجه حصن منتجاتش.

قورجة ترجاله: عبر مؤرخو العرب عن حصانة مدينة ترجاله، ومن ذلك ما ذكره الحميري بقوله [مدينة بالإندلس كالحصن لها أسوار وأسواق عامره وخيل ورج ال يقطعون أعمارهم في الغارات علي بلاد الروم والأغلب عليهم التلصص والخداع[4].

([1]) شكل (27).

([2]) شكل (28).

([3]) أحمد فكري: مسجد القيروان، مطبعة المعارف، بمصر، 1936، ص 32-33.

([4]) الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم): صفة جزيرة الأندلس. منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. تشر ليفي بروفنسال، بيروت، الطبعة الثانية، 1988، ص 63.

ويؤكد هذا النص أهمية ترجاله وطبيعة سكانها عسكريا منذ أن خضعت للخليفة عبد الرحمن الناصر [1]. والتي ازدادت في عصر الموحدين إذ كانت ثغرا أماميا وحصن ما نع يعترض قوات البرتغاليين عند مرورها من نهر تاجه حتي نهر وادي يانه[2].

ولا نعرف عن النظام الذي كانت عليه ترجاله في القرن 4هـ/ 10م سوي معلومات ضئيله لا تفي بدراسة تخطيطها في العصر الإسلامي والذي تغير علي مر العصور نتيجة اضطراب أوضاعها السياسية والعسكرية وانتقالها عدة مرات من السياده الموحديه إلي السيادة المسيحية والعكس. وأغلب تلك المعلومات استقيناها من إشارات عابرة في المصادر العربية سبق الإشارة إليها فضلا عن الدراسات التي قام بها بعض علماء الآثار الأسبان [3] والتي أمكن من خلالها تحديد الشكل الذي كانت عليه أسوار المدينة بعد أن تمكنوا من الكشف عن أجزاء كبيرة منها [4]. وأهم ما تبقي منها السور الذي يضم حصنها والذي لا يزال

([1]) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف): كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس. تشرد. بدرو شالميتا، وكورينطي، د. محمود صبح. نشر المعهد الأسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979، ص 255، حيث الإشارة لمشاهير العمال الذين عينهم الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد أن وطد ملكه ومنهم أحمد بن سكن في عام 317هـ. وبراء بن مقاتل في سنة 319هـ، ص 315.

([2]) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامه، ص 289، حيث الإشارة إلي الغارات التي تعرضت لها المدينة علي يد جرانده قائدا ابن الرنك في عام 560هـ.

([3]) Hernandez (Felix): la kura de Merida en el siglo.x. Alandalus Vol, XXV, 1960, pp. 36-38.

- Roman (Melida): catalogo Monumental de Espana (provencia de caceres, IIII, Madrid, 1924, pp. 247-249.

- Pavon Maldonado: Arqeologia Musulmana en caceres, Alandalus, XXXII, 1967. 195-196.

- Torses Balbas: ciudades Hispano Musulmans, t, 2, p. 447.

([4]) شكل (29).

مسيطرا علي الجهة الشرقية منها. وكان ينفتخ فيه سبعة أبواب تبقي منها أربعة أهمها بالنسبة لموضوع البحث الباب الرئيسي المؤدي إلي قورجه الحصن [1] والذي يتألف من فتحتين معقودتين بعقد متجاوز لنصف الدائرة علي شكل حدوة الفرس كامل التسنيج، وفقا للأسلوب الخلافي [2] يرتكز رجلاه علي حداره مشطوفه علي شكل هرم ناقص مقلوب تقوم علي منكبين أو ع ضادتين، ويمتاز بنيان هذا الباب بكتله الحجرية المصقولة والمنتظمة الصفوف وتحف به بدنتان بارزتان عن سمت الجدار الذي ينفتح به كما يمتاز ممر هذا الباب بأنه يسير في خط مستقيم فهو من أنواع الأبواب ذات الممرات المستقيمة يتوسطه مشط حديدي [3] وكان هذا الممر يصل خارج الحصن بقورجته التى تأخذ شكل مستطيل يشتمل علي أربع فراغات أو أساطين متتالية يطلق عليها بهو أو ساحة السلاح. تمتد بطول 200م وعرض 120م تقريبا أثنان منهما في الوسط والآخران في الأطراف، وتتصل كل هذه الفراغات فيما ب ينها عن طريق ممرات طوليه

([1]) لوحة (2) ، شكل (3).

Juan (Tena fernanez): Trujillo historica y monumental, 1967, pp, 465-466.

([2]) هناك أسلوبين في توزيع سنجات العقود الحدوية الأندلسية الأول يقتصر علي الجزء المركزي من العقد وقد يمتد التسنيج بحيث يصل إلي الثلث العلوي من العقد ويطلق علي هذا النوع من العقود الحدوية في المصطلح الأسباني اسم Arcos enjarados أما الأسلوب الثاني المتبع في تسنيج العقود الحدوية الخلافية فنري فيها النسجات تحف بكامل دائر العقد (لمزيد من التفاصيل راجع :

Camps Ycazorla (E): Modulas a Proporciones y camposicion en la Arquitectura califal cordobesa, Madrid, 1953, p. 34.

3) هو نوع من الأبواب يطلق عليه في المصطلح الأسباني اسم Puerta con rastrillo ويكون في الغالب من الحديد ويتم أنزاله ورفعه بواسطة سلاسل حديديه وفائدة هذا النوع من الأبواب أن الأعداء عند دخولهم المدينة يتوهمون أنه مفتوح فإذا ما وصلوا إلي منتصفه أغلق عليهم وتم حصرهم بداخله (كمال عناني إسماعيل: العمارة الإسلامية في طليطلة في العصر الأسلامي، ص 344. ويطلق مورينو علي هذا الباب اسم باب السد: مورينو (مانويل جومت): الفن الإسلامي في أسبانيا ترجمة لطفي عبد البديع عبد العزيز سالم ومراجعة جمال محرز، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1968، ص 236.

وأخري عرضيه أثنين منها مركزية عمودية تتصل بالفراغين الأوسطيين عن طريق باب معقود علي منكبين ينفتح في كل من الجهتين الشرقية والغربية من الفراغات المتطرفة ويتميز الفراغ أو الأسطوان الأوسط بزيادة أتساعه عن الفراغات الأخري [1]. ويتصدر القورجه بأساطينها أو فراغاتها الأربعة ممر أو مجاز طولي مستطيل الشكل يتعامد مع تلك الفراغات علي شكل حرفي T، ويطل علي باب داخلي معقود أيضا بعقد حدوي [2] يحتفظ بسكرجتيه [3] الحجريين. وهذا الباب يشبه الباب الرئيسي المؤدي إلي القورجه مما يرجح أنه معاصرا له [4].

وفي الطرف الشرقي من سور الحصن توجد بقايا جبان أو خزانان تم العثور علي أحداهما داخل القورجه والأخر خارجها [5] في منطقة تعرف بساحة السلاح، ومثل هذه الجباب أو الخزانات الجوفية التي شاع استخدامها في هذا الطراز من القورجات الداخلية التي لا تعتمد علي مصدر دائم للمياه كانت تتجمع فيها مياه الأمطار في فصل الشتاء بحيث تؤدي دور حيوي في تزويد الجند والناس بالمياه في أوقات الحصار أو أنقطاع المياه. ومن هنا كانت العناية كبيرة بتنظيف أرضية وجدران وأنابيب تلك الجباب

([1]) شكل (31).

([2]) لوحة (3).

([3]) السكرجة كتلة من الحجر أو الرخام يبيت فيها طرفا. محور مصرع الباب من جهة الجدار وهي علي أنواع مختلفة منها المصنوع من الخشب وقد ظهر في القرن 10هـ/ 16م ومنها المصنوع من الحجر والرخام وشاع في أبواب العمائر الإسلامية الأندلسية خلال القرن 4هـ/ 10م. وفي هذا النوع الأخير يتم تثبيت السكرجة بأسفل وأعلي مصراعي الباب بحيث تدور أطرافه في حركة دائرية (لمزيد من التفاصيل راجع: مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص 495.

Torres Balbas: quicialers Hispano Musulmana. Al andalus. V, XXI. 1956, pp. 356-360.

حنان عبد الفتاح مطاوع، الزخارف المحفوره علي الرخام والحجر في عصر الدولة الأموية بالأندلس وعصر دويلات الطوائف. مخطوط رسالة ماجستير، إسكندرية، 1991، ص 202.

([4]) Tena fernandez: Trujillo Historico y Monumental, p. 465.

(5) شكل (29).

وتسقيفها بقبوات ذات فتحة في أعلاها لإدخال المياه أو استخراجها منها حسب ما يقتضيه الحال [1]. كما أن هذه الفتحة كانت تسمح بدخول الشخص الذي يتولي تنظيفها أو تفريغها من الماء إذا كانت المياه الجارية متوفرة بالقورجه[2].

عناصر تخطيط جُبا قورجه ترجاله:

تخلفت أجزاء كثيرة من الجبيين اللذين تم اكتشافهما بقورجه حصن ترجاله[3]. وتدل مظاهر هذه الأجزاء علي نظامهما المعماري، والذي أمتاز بعناصر رئيسية التزم بها البناة المسلمون في غرب العالم الإسلامي وأن اختلفت هذه العناصر التي يتكون منها الخزان أو البئر في الأتساع والمظهر من خزان قورجه إلي أخري.

الجب الأول[4].

تمتد حدود الجب من الداخل واعني به جدرانه في شكل مستطيل طوله 8.12م وعرضه 5.35م، وينقسم هذا المستطيل إلي ستة أقسام بواسطة عقود مدببه منكسره تعلوها قبوات نصف أسطوانة ترتكز علي دعائم مصلبه[5]. وتمتد حدود الجب من الخارج بحيث تتصل بمجموعة من المرافق أقيمت علي جانبيه القصيرين، وما تبقي من هذه المرافق يشير إلي وضعها القديم، فرغم تهدمها إلا أن مظهرها يوحي بأنها كانت مجرد مراحيض وحمام ضيق وبعض الفصلان والغرف الصغيرة الخاصة بالجند أما الجهة المقابلة فتتصل من الخارج بدرج يؤدي إلي قاع الجب ومن الداخل بدهليز أرضي

([1]) لوحة (4).

([2]) Zozaya (Juan): el lejado Tecnico de Al. Andalus, Revista de Arqalogia No, 5, Marzo, 1981, pp. 12-14.

([3]) شكل (32).

([4]) شكل (33).

([5]) شكل (34).

يواجه قورجه الحصن بحيث تتصل بكل المرافق سالفه الذكر [1] من خلال بائكه من ثلاثة عقود يحف بها عقد ان توأمان.

هذا عن النظام التخطيطي للجب الذي تكرر في العديد من مباني القورجات الأندلسية مثل جب المطر بحمراء غرناطه [2] وقورجه الجب النصري الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قصر شارلكان [3] فهي متشابه بالرغم من اختلاف احجامها اختلافا يسيرا أحيانا وكبيرا أحيانا أخرى.

أما عن أهم عناصره المعمارية فعقوده من النوع المدبب المنكسر [4] تقوم علي دعائم مصلبه، وسقفه عبارة عن قبوات نصف أسطوانية، وقد بنيت جدران هذا الجب وجميع عناصره المعمارية بقوالب الآجر المدهونة باللون الأحمر وفقا للتقاليد الموحدية[5].

الجب الثاني[6].

أما الجب الثاني فيقع بجوار الأول ويتخذ شكل مستطيل أيضا طوله 8م وعرضه 4م. وعلي العكس من الجب الأول نجده مقسم إلي بلاطين. أو رواقين بواسطة دعائم يعلوها أربعة عقود أثنين في الوسط من النوع المدبب وفي كل من الجانبين الأيمن والأيسر عقدين نصف دائريين ويغطي

([1]) شكل (33).

([2]) شكل (35).

([3]) لوحة (4).

Torres Balbas: Dar Al Arusa y las reuinas de palacios y Al Bercas. Granada situdos por encima del Generalife. Alandalus, XXII, 1948. pp. 185-190.

([4]) شكل (34).

([5]) Carlos (Sarthau Carreres): Las castillos de Espana, Espasa- Calpe, Madrid, 1963. pp, 315-317, p, 323.

- Villar Julian Alveez: el arte en Extramadura , p. 177.
- Melida: Provencia de caceres , p. 248.
- Pavon Maldonado: arqeologia Musulmana en caceras, pp. 195-197.

([6]) شكل (36).

البلاطين المذكورين قبوات نصف أسطوانية [1]، وقد بنيت جدران هذا الجب ورصفت أرضيته بملاط شديد الصلابه أما ما عداها من عقود وقبوات فقد ينيت بالأجر المصنوع من طينه المغره[2].

وعلي الرغم من أن الحفائر لم تصل بعد إلي نهاية هذا الجب إلا أن أسسه تشير إلي انه كان يتصل بقورجه الحصن عن طريق ثلاثة مداخل معقودة تفضي إلي دهليز أرضي تحيط به مجموعة من المرافق التي ربما كانت علي غرار مرافق الجب الأول.

وقد اختلفت أراء مؤرخو الفن حول تأريخ هذين الجبين. ويعتبر الأستاذ ميليدا أول من قام بدراسة هذين الجبين وأرجع تأريخهما إلي القرن 7هـ/ 13م[3]. وحذا حذوه الأستاذ خوليان بيارا [4]. في حين أكد الأستاذ بافون مالدونادو علي نسبتهما إلي القرن 6هـ/12م استنادا علي ما تم العثور عليه حول هذين البئرين أو الجبين من نماذج لقطع من الفخار المزجج باللون الأخضر الذي عثر عليه في أنحاء متعددة من بلاد الأندلس في عهد الموحدين [5]. ومن جانبي أؤيد ما انتهي إليه الأستاذ بافون الذي أتيح لي

([1]) Melida: Provencia de caceres, p. 248.
- Pavon Maldonado: op.cit., p. 204.

([3]) هذه الطينة عبارة عن تراب حديدي أحمر اللون يعرف بالمغره Almagre عثر عليه في أنحاء عديدة من بلاد لاندل لاسيما مدينة ميورقة وتكتسب هذه الطينة اللون الأحمر المميز لها لاحتوائها علي نسبة كبيرة من أكسيد الحديد ومن خصائصها أنها ضعيفة بحيث لا تحتمل درجات الحرارة العالية ولذا فهي لا تحرق سوي مرة واحدة كما أنها تمتاز بمرونتها مما يساعد علي إنتاج أشكال عديدة منها.
الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق أحسان عباس. بيروت الطبعة الثانية، ص 521.
- Villalba (Ajose Aguad0). La ceramica Hispano musulman de toledo. Madrid, 1983, p. 31, p. 47.
كمال عنانى إسماعيل: الخزف ذو الفواصل الجافة صناعة الأندلس، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، عدد عام 2000م، ص 2-3.

([3]) Melida: op.cit., p. 248.
([4]) Julian villar: el arte extramadura p, 177.
([5]) Pavon .Maldonado: arqeolo;gia musulmana en caceres, p, 204.

فرصة مناقشته بشأن تأريخ هذين الجبين فأكد لي بالإضافة إلي ما سجله من دراسته سالفه الذكر أن اللبس في تحديد تأريخ بناء هذين الجبين يرجع إلي أنهما جد دا تجديدا شاملا في نهاية عصر الموحدين وقبل أن يسقط حصن ترجاله نهائيا في يد فرناندوا الثالث عام 630هـ/1232م. ومن جانبي لا استبعد أن تكون قد أضيفت إلي هذين الجبيين بعد سقوط المدينة وحصنها بعض الإضافات المسيحية التي أخفت بعض معالمها الأصلية التي ترجع إلي عصر الموحدين.

قورجه حصن منتانجش Castillo Montanchez:

حصيله كتابات المؤرخين العرب عن حصن منتانجش قليلة، وأشهر ما ورد بشأنه في التاريخ الإسلامي الأندلسي يتعلق باستيلاء الفارس البرتغالي جرانده عليه سنة 561هـ/ 1165م[1] واسترداد الموحدين له عام 592هـ/ 1195م[2] ثم سقوطه نهائيا في يد الفونسو التاسع ملك ليون عام 626هـ/ 1229م[3].

([1]) ابن صاحب الصلاه، المن بالإمامه، ص 289. وكذلك

راجع: ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. (القسم الخاص بالموحدين). تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت. ومحمد بن زنيبر.

وعبد القادر زمامه. نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 104 حيث الإشارة إلي سقوط الحصن في شهر جمادي الأخر وليس جمادي الأولي كما ذكر أبن صاحب الصلاه وذلك بقوله [فغدر جرانده العلج المذكور لعنة الله أولا من غدواته مدينة ترجاله سنه ستين (أي ستين وخمسمائة). ثم مدينة يابره من ذي القعدة من السنة ثم غذر مدينة قاصرس في صفر سنه وستين أحدي وستين ثم غدر حصن منتانجش في جمادي الأخرة من السنة].

([2]) ابن عذاري: نفس المصدر، ص 223 حيث الإشارة إلي مناعة هذا الحصن بمناسبة أسترداد الخليفة المنصور له بقوله: [... وقدم إلي حصن منتانجش جماعة من الأندلسيين وهو من المعاقل الشاهقة الأرتفاع المشهورة بالتوعر والامتناع].

3) سحر سالم، المرجع السابق، ص 734.

وأهم ما تبقي من آثار حصن منتانجش الإسلامي [1] أسواره الخارجية المشيده بكتل من الجرانيت والدبش والملاط، والتي تتخذ شكلا غير منتظم يدعمها أبراج مربعة ومستديرة[2].

أما الأسوار الداخلية التي تمثل قورجة الحصن المعبرة عن نظام القورجه الداخلية فقد حاول بعض علماء الآثار أن يرسموا تخطيطاً لها كما كانت في عهد إنشائها واستعانوا بما تبقي من أثارها في تنفيذ هذا الرسم الذي يشير [3] إلي أن هذه القورجه كانت تطل علي بهو كبير مستطيل الشكل يزيد طول جانبه الشمالي عن الجنوبي، وقد ترتب علي ذلك أن أصبح شكل البهو غير منتظم [4]، ويتوسط هذا البهو ممران متقاطعان علي نظام الأبهاء المصلبه[5].

وقد كشفت الحفائر البسيطة التي أجريت في بعض إجزاء القسم الشمالي من البهو عن هوية عدد من الملحقات التي تختلف في وظائفها، والتي كان يتم الوصول إليها من خلال بابيين رئيسيين ينفتحان في الجانب الشمالي من القورجه أحدهما يطل علي ممر طويل مغطي بلوحات أو بلاطات مستطيلة ترتبط فيما بينهما عن طريق ملاط شديد الصلابة، ويفـضى هذا الممر إلي قسم الخدمات Area de servicio الذي يشمل ثكنات الجند وحمام ومخازن وأسطبل للدواب، والأخر يخترق طريق طويل يقسم القورجه إلي مجموعتين تشغلان الجانبين الشمالي والغربي من البهو المركزي الذي كانت تكتنفه وحدات القورجه المختلفة. ونظرا لتهدم هذه المرافق فمن الصعب

([1]) لوحة (5).

([2]) Pavom Maldonado: op.cit., p. 180.

([3]) شكل (24)

([4]) شكل (6 أ، ب).

([5]) شكل (37).

التعرف علي نظامها التخطيطي، ومع ذلك فإن مجمل الجهود الأثرية التي بذلت حتي الآن في تحري هذه المرافق أسفرت عن الكشف أسس بناء يمثل أحدي غرف القورجه المختلفة، والتي تبقي منها ألان أثار غرفة مستطيلة طولها 4م وعرضها 3م[1].

ومما يجدر ذكره هنا أن مداميك البناء التي شيدت بها هذه الغرفة في شكل كتلة واحده من الجص أو الملاط المدهون باللون الأحمر نفذت بطريقة منتظمة ساعدت علي انتظام الشكل العام لجدران هذه الغرفة. ومع ذلك فهناك انحراف واضح في الجهة الشمالية والغربية من البهو، ويرجع السبب في ذلك إلي خلل في طريقه تنفيذ صفوف بناء بعض المرافق الأخري المطلة علي البهو مما تسبب في أفساد التخطيط المنتظم الذي كان يجب أن يكون عليه البهو عند تصميمه [2].

وعلي الرغم من وجود صفات مشتركة بين النظام التخطيطي لقورجة منتانجش وبين النظام التخطيطي لقورجه ترجاله؛ ألا أن الجديد هنا في نظام قورجه منتانجش أنها لا تنقسم إلي فراغات أو أساطين مربعة تطل ببائكة من العقود علي البهو المكشوف بل تنقسم إلي بلاطات أو أروقة.

جباب قورجة منتانجش.

ضمت قورجة حصن منتانجش جبان. الأول يقع بجوار السور الشمالي الشرقي لفناء القورجة يسبقه حوض مربع طول ضلعة 1.33م الغرض منه تفريغ مياه الأمطار خلال فصل الشتاء بحيث تصب في الجب

---

(1) لوحة (7).

(2) شكل (37).

الثاني[1]. ويتصل بهذين الجبيين عدد من المرافق الموزعة في غير نظام كانت تشتمل علي عدد من السراديب الأرضية المتصلة ببهو القورجه من جهته الشرقية بممرين طول كل منهما 1.60م. كما تتصل أيضا من خلال ممر دائري بمجموعة من المرافق كانت تحتل الجهة الغربية من هذا البهو لكنها أصبحت الآن أكواما من التراب والحجارة يحتاج ما تبقي منها إلي حفائر لكشف النقاب عنها.

تخطيط جباب حصن منتانجش

إذا كانت قورجة منتانجش قد اختلفت في تخطيطها عن قورجة ترجاله فإنها أمتلثت في تخطيط جبابها نفس النظام الذي سبق أن شهدناه في تخطيط الجب الثاني بقورجه ترجاله حيث يتخذ الجب هنا شكل مستطيل يزيد طوله الشمالي البالغ 6.97م عن الجنوبي الذي يبلغ 4.32م[2] مما جعل شكل الجب غير منتظم [3]، وهو مقسم من الداخل إلي ثلاثة أروقة أوسطها أكبرها بواسطة بائكة من عقدين مدببين قائمين علي عمودين مركزيين في الوسط[4] وبائكة من أربعة عقود منكسرة تقوم علي أربعة دعائم تلتصق بجدران الجب. ويبدو أن بعض عناصر هذا الجب قد نقلت من مباني رومانية قديمة وأخري إسلامية فقاعدة أحد العمودين المركزيين، والتي تتخذ شكل بيضي قد انتزعت من بناء روماني في حين أن تاج العمود الأخر من النوع الكورنثي البسيط الذي ساد في عصر الخلافة [5]، والذي ربما نقل من أطلال مدينة الزهراء.

([1]) شكل (37).

([2]) Melida, op.cit., p. 244.

([3]) شكل (38).

(4) شكل (39).

([5]) Pavon Maldonado, op.cit., p. 193.

أما الجب الثاني بقورجة منتانجش فلا يختلف في الأساس عن الجب الأول إلا في أنه أقل منه مساحة فهو يتخذ شكل مستطيل طوله 5م وعرضه 3.5م. في حين يتفق الجبان. في نظامهما التخطيطي. وفي أن سقف كل منها عبارة عن قبوه نصف أسطوانية مدببة مشيدة بقوالب من الأجر تتراوح أبعادها ما بين 6 و 16 و 32سم[1]، وترتكز هذه القبوات علي عقود أغلبها نصف دائرية منكسرة [2]، وقد تم الاستدلال علي تأريخ هذين الجبين بعصر الموحدين من خلال العثور علي قطع من الخزف المزجج وقطع من البرونز تؤكد بأنها صنعت في فترة ازدهار الحصن في عهد الموحدين [3] وذلك قبل أن يهجر علي أثر سقوطه نهائيا عام 626هـ/ 1229م علي يد الفونسو التاسع[4].

هذا عن أوجه الشبه والاختلاف بين الجبين الرئيسيين بقورجه منتانجش التي تميزت بوجود جب ثالث يقع خارج فناء القورجه، ولا يتفق هذا الجب مع الجبين السابقين إلا في تخطيطه المستطيل إذ يبلغ طوله 6.97 وعرضه 4.23م أما وجه الخلاف فيتمثل في أنه علي العكس من الجبين السابقين نجده محفوراً في صخره. مما يعبر عن مدي عناية المعمار الأندلسي بتطوير عناصر تخطيط هذا النوع من القورجات الداخلية وفقا لظروف البيئة وطبيعته ومساحة الموقع.

وهكذا نلاحظ من خلال الدراسة التحليلية لقورجه منتانجش أنه ظهرت فيها مرحلة جديدة من مراحل التطور في النظام التخطيطي للقورجات الداخلية ذلك التطور الذي بدأت مراحله الأولي في قورجه ترجاله

([1]) Ibid., p. 187.

([3]) لوحة (8).

([3]) Maldonado, op.cit., pp. 190-191.

([4]) Melida, op.cit., p. 244.

ممثلة في تقسيمها إلي عدة أفنية في شكل أساطين أو فراغات مربعة متتالية تتصل فيما بينها عن طريق مجاز طولي تحميها الأسوار التي تدور حولها. إلي أن ظهرت في منتانجش القورجات ذات الأروقة المطلة علي بهو واحد بدلا من سلسلة ممتدة من الأبهاء، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القورجة أكثر عمقا حيث أضيفت إليها غرفة تتصل بها عن طريق الأروقة التي تحددها.

وثمة مظهر أخر من مظاهر التطور نلمسه في تخطيط هذه القورجه هو أظهار بهوها بمظهر التخطيط المصلب من خلال ممرات متعامدة تتصل بمرافق ال قورجه التي تحيط بالبهو وتقع علي محاوره المتقاطعة، ومن أهم ما تميزت به قورجه منتانجش هو احتفاظها بالعديد من عناصرها المعمارية إذ لا تزال جبابها محتفظة بقبوتها نصف الأسطوانية المبنية بالأجر وبعقودها المدببة ونصف الدائرية المنكسرة، والتي تقوم علي إيدان أعمدة من الرخام أسطوانية الشكل ترتكز علي قواعد بيضية ومستطيلة كما تبقي عدد من التيجان الرخامية المتأثرة في شكلها وزخارفها بالطابع الخلافي.

ومن العناصر المعمارية غير الإسلامية المتبقية بالقورجه أيضا نماذج من لوحات بها نقوش لاتينية وعضادات وأعتاب أبواب بعضها أعيد استخدامه في باب مقر حراس الحصن [1] والبعض الأخر لا زال مطروحا بأرضية القورجة تزدان بتوريقات نباتية متأثرة في شكلها بالطابع القوطي[2].

([1]) Pavon Maldonado, op.cit., p. 186.

لاشك أن هذه العناصر أضيفت للحصن عند تجديده بعد سقوطه في يد الفونسو التاسع في بداية القرن 7هـ/ 13م.

Melida: op.cit., pp. 244-245.

([1]) شكل (40).

ثانيا: نمط القورجات الخارجية:

يضم هذا النمط النوعين الأول والثالث من أنواع القورجات الأندلسية، والذي يتميز بأن عناصر القورجة بنوعيها تقع خارج المدينة أو الحصن سواء شغلت موقعا منفصلا عنه أو ارتبطت به عن طريق جدار أو جدارين، ولذا أصطلح علي تسميته بقورجات الماء الخارجية Corachas aguas Maritinas exramuros تميزاً لها عن النوع الثاني المعروف بنمط القورجات الداخلية الجافة، والتي سبق الإشارة إليه باعتباره نمط غير تقليدي. أما عن هذا النمط فإن تخطيطيه يعد أكثر أنواع التخطيطات شيوعا وانتشار إذ بلغ عدد القورجات المصممة وفق هذا النمط حوالي خمس وعشرون قورجه.

وأهم ما يميز هذا النمط أن عناصر القورجة ذات طابع حربي بحت بحيث خضعت لتخطيط ثابت نواته ثلاثة عناصر رئيسية تتمثل في السور الأمامي والبرج البراني ومصدر دائم للمياه.

1- الأسوار الأمامية

هي العنصر الأول الرئيسي الذي تشترك فيه أنظمة بناء القورجات الإسلامية الأندلسية وتكاد تتفق التفسيرات العربية و الأسبانية لمصطلح الأسوار الأمامية بأنها ستارة تتقدم السور الرئيسي للحصن أو المدينة بحيث تطوقه كليا أو جزء منه وبأدناها حفير قد يمتلئ بالماء، وتشكل الأتربة الناتجة من حفره ساترا أماميا لها. وبوجه عام تكون الستارة أقل ارتفاعا من السور الرئيسي بحيث لا تزيد في الغالب عن $^1/_4$ ارتفاعه، وتكفي فقط لإخفاء قامة رجل، وبذلك أعطي هذا الارتفاع المنخفض للمحصورين داخله ميزة أمنية في أنها لا تشكل خطرا عليهم في حالة حصارها واقتحامها من قبل العدو.

ومع أن هناك أتفاق حول مدلول لفظ السور الأمامي والمتمثل في تحديد موقعة بالنسبة للسور الرئيسي ووظيفته في أنه يمنع الهجوم المباشر علي هذا السور حسب شرح البكري في سياق وصفه لسور مدينة سبته بقوله [ولسورها الغربي تسعة أبراج والباب في البرج الأوسط وبين يدي هذا الباب سور لطيف يستر الرجل ويتصل به خندق عميق عريض عليه قنطره خشب أمامها بستان وآبار ومقبره] [1].

غير أن التعبير عن هذا المعني أي السور الأمامي ورد خلال العصور الوسطي الإسلامية في كتابات المؤرخين العرب والمدونات المسيحية والدراسات الحديثة بألفاظ مختلفة تعطي في النهاية المعني نفسه من ذلك أطلاق اسم البربخانه والحزام البراني[2] والفصيل الواقع بين السورين علي الأسوار الأمامية [3]. وهذا يفسر انتشار استخدامه في بلاد المغرب

([1]) البكري (عبيد الله بن عبد العزيز): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك. مكتبة المثني، بغداد، (مصور من طبعة دي سلان، الجزائر، 1857م، 1914م، ص 103؛ كذلك راجع: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ج.س. كولان، أ. ليفي بروفتسال، بيروت، 1983، جـ2، ص 204.

حيث أشار إلي هذا السور بمناسبة اقتحام الخليفة الناصر لمدينة سبته وأقامته الدعوة الأموية بها عام 319هـ/931م وذلك بقوله: [وقد عمل الناصر علي تحصين تلك المدينة فشكها بالرجال واتقنها بالبنيان وبني سورها بالكذان (نوع من الحجر الأبيض). والزم فيها من رضية من قواده وأجناده].

([2]) ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الفاسى): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. نشر نورنبرج. أوبسالا 1843م، ص 181. حيث الإشارة إلي هذه اللفظة بقوله [وفي سنة ثمان عشرة جدد سور أشبيلية وبني الحزام البراني وجعل الحفير دائر بالحزام].

([1]) يقوم هذه التفسير علي اساس أن السور الأمامي هو عبارة عن فصيل يمتد خارج السور الرئيسي وأن الفراغ الواقع بينهما يسمي درب وهذا التفسير أو المعني عرف في المصادر العربية وبصفة خاصة كتب الأدب حيث لاقي قبولا لدي أهل العلم بمدينة سرقسطه خلال القرن 5هـ/ 11م.

Doz (R.): Supplement aux dictionnaires arabes, Leyde ;1881 T, I, p. 429.

وقد أورد ابن حيان كلمة الفصيل بمعني الفراغ الواقع بين بابين (ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي): كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس. نشرملشور أنطونيو باريس، 1937، ص 74. وكذلك قارن نفس المصدر نشر الحجي، ص 50، 51، 76، 120.

والأندلس في العصر الإسلامي. وفي الممالك المسيحية بأسبانيا بتعبيرات مختلفة ومعني واحد. فطوال القرن 7هـ/ 13م. شاع في المدونات القشتالية استخدام كلمة ستارة أو الستارة Acitara بمعني السور الأمامي [1]. ثم حل محلهما في القرن 8هـ/ 14م تعبيران آخران للدلالة عليهما وهما بربخانة أو بربكانه Barbacana – Barrera بمعني الحاجز الأمامي وخلاصة القول أن الأسوار الأمامية اصطلاح له مرادفات عديدة أشهرها ثلاثة وردت في المدونات العربية والمسيحية والدراسات الحديثة ا لأول الستاره والثاني الحزام البراني وأخيرا البربخانه[2].

مصدر أشتاق الأسوار الأمامية وبداية ظهورها في الأندلس وأهميتها كأحد عناصر القورجه الخارجية

يجب ربنا قبل أن نتناول هذا العنصر في العمارة الأندلسية أن نشير في عجالة إلي مواطن نشأته إذ كان معروفا في العمارة البيزنطية باسم بربخانه[3] وهو ذات الأسم الذي ظهر لأول مرة في فرنسا في القرن 6هـ/

([2]) يستدل علي ذلك من وصف أحد الكتاب القطلانيون الذي كان مصاحبا لحملة الاسترداد المسيحي لمدينة ميورقه والذي أشار في روايته عن حصار المدينة إلي أسوارها التي كان يحيط بها بربخانه وخنادق عميقه؛= = وكذلك وصف الونسو دي بلنسيه والفونسو العاشر وموسين دي بيجو دي باليرا لأسوار مدينة بلنسيه ومالقه واشبيليه فأطلقوا علي السور الأمامي اسم برنجانه Barbacana أو Barrera de la cibdd

سحر السيد عبد العزيز: التاريخ السياسي لمدينة بطليوس الإسلامية منذ تأسيسها في سنة 261هـ/ 871م. حتي سقوطها في إيدي الليونيين، مخطوط رسالة ماجستير، إسكندرية، 1984، ص 871.

([2]) Torres Balbas: ciudades Hispano, V, II, p. 535.

- Pavon Maldonado: Alficen de toledo, Al, Aqantara V, III, p. 415, 431.

- Carrero de Dios (Manuel): Las Murallas y las puertas, p. 27.

([3]) Dichl (Charles): Manuel d'art Byzantin T, I. Paris, 1925, pp. 197-199.

- Torres Balbas: Arte Hispano Musulman Hasta la caida del califato de cordoba , p. 634.

12م، ومن العمارة الحربية الفرنسية أنتقلت فكرة البربخانه أو الأسوار الأمامية إلي أسبانية المسيحية عن طريق الحروب الصليبية في الشرق. كما عرفها الإيطاليون من خلال اتصالهم بالمسلمين في الشرق الأدني الإسلامي[1].

أما عن تاريخ ظهور الأسوار الأمامية في تحصينات الغرب الإسلامي فيكتنفه الغموض وذلك بسبب عدم وصول أي أثر من أمثلة الأسوار الأمامية القديمة التي تنسب إلي تلك التحصينات قبل عصر الموحدين، ومع ذلك فمن الممكن أن نضع تاريخا دقيقا كبداية لاستخدام الأسوار الأمامية في الغرب الإسلامي عموما وبلاد الأندلس خصوصا، فبالنسبة لبلاد المغرب فقد أورد البكري نص سبق الإشارة إليه مفاده أن الخليفة عبد الرحمن الناصر عندما فتح مدينة سبته عام 319هـ/ 931م شيد في الجهة الغربية منها سور محكم البناء أمامه سور منخفض يكاد يستر قامة رجل، وفي ذلك يقول البكري [ولسورها الغربي تسعة أبراج والباب في البرج الأوسط وبين يدي هذا السور سور لطيف يستر الرجل ويتصل به خندق عميق عريض عليه قنطره خشب أمامها بستان وآبار ومقبره] [2].

والواقع أن إشارة البكري إلي مكان هذا السور واقترانه ببرج أوسط به باب ومصدر للمياه لها قيمتها التي تتمثل أ ولاً في: تأكيد ما سبق أن توصلنا إليه من أن القورجه الخارجية تعتمد في تكوينها الأساسي علي ثلاث

([1]) Torres Balbas: Barbacanas obra dispersa t, 5, pp. 45-47.
- Fernandz (Frnando valdez): Badajoz prablematica arqeologica de un yaciminto, Alandalus, t, IV, p. 117.

وكذلك راجع: سحر سالم: المرجع السابق، ص 871.

([1]) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص 103.

وكذلك راجع: ابن عذاري: المصدر السابق، جـ2، ص 204.

عناصر رئيسية تطابق الوصف الذي تقله البكري مطابقة واضحة وهي السور الأمامي والبرج البراني والمصدر الدائم للمياه.

ثانيا: تأكيد معني السور الأمامي وبيان استخدامه وأهميته في حماية الأماكن الضعيفة من المدينة أذ كانت مدينة سبته تعتمد في الدفاع عن نفسها علي البحر المتوسط الذي يدور بها شمالا وجنوبا وشرقا [1]. مشكلا خندقا طبيعيا يكفل حمايتها بحيث لا يمكن الوصول إليها برا الامن الجهة الغربية ولذلك استلزم الأمر أحاطتها بسور يحميها من هذه الجهة[2].

ثالثا: أن أساس فكرة القورجة يتصل ببلاد المغرب وبعصر يسبق بكثير عصر الموحدين الذي نضجت فيه هذه الفكرة واكتملت عناصرها وتردد ذكرها في المصادر العربية والمدونات المسيحية منذ ذلك العصر كما سبق الإشارة بمعني أن الأسوار الأمامية في سبته كانت مصدر إيحاء لبنا ة الأندلس بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان لاكتمال عناصر بناء القورجه فخيالهم المعماري لاسيما في العمارة الحربية التي برزوا فيها حملهم علي التحليل الدقيق لعناصر البنيان المعمارية وأسباب مناعته وعوامل مقاومته علي النحو الذي وضحناه.

أما عن بداية ظهور الأسوار الأمامية ببلاد الأندلس فيبدو أنها قد تزامنت مع ظهورها في بلاد المغرب أو قبل ذلك بأعوام قليلة فأول إشارة تتعلق بمثل هذا النوع من الأسوار أوردها كل من ابن حيان وصاحب مدونه

([2]) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار. نشر وتحقيق، سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص 137، حيث الإشارة إلي أن البحر قد أحاط بها (أي بسبته) شرقا وجنوبا وقبله وليس لها إلي البر غير طريق واحد من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه.

([3]) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، ص 183، حيث الإشارة إلي موقع المدينة بالنسبة للبحر بقوله [وهي ضاربه في البحر داخله كدخول كف علي يد].

عبد الرحمن الناصر بمناسبة حديثهما عن غزوة أردون الثاني ملك ليون لمدينة يا ره في سنة 301هـ/ 913م[1]. ثم توالت الإشارات التاريخية لمثل هذا النوع من الأسوار طوال عصر الدولة الأموية وحتي نهاية عصر دولة الموحدين[2] والتي من أهمها إشارة ابن أبي زرع بمناسبة حديثه عن تجديد الخليفة المستنصر االموحدي في عام 618هـ/ 1221م لسور أشبيليه وتشييده حزام براني حول هذا السور وأدار حوله خندق [3]، ويبدو أن هذا السور كان من الاتساع بحيث أنه كان يكفي لتطويق مدينة أخري علي حد تعبير الفونسو العاشر في مدونته العامة لتاريخ أسبانيا[4].

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن الأسوار الأمامية ظهرت في غرب العالم الإسلامي منذ عصر الدولة الأموية أي قبل عصر الموحدين بما يزيد علي قرنين من الزمان، وأن بلاد المغرب والأندلس كانت صاحبة السبق في استخدامها منذ بداية القرن 4هـ/ 10م، وذلك قبل التاريخ الذي حدده أصحاب الرأي القائل بأنها ظهرت في فرنسا وإيطاليا لأول مرة في القرن 6هـ/ 12م. هذا ولقد توالت العناية منذ عصر الموحدين وحتي نهاية دولة

([1]) ابن حيان: كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر، بدر وشالميتا د. كورينطي، ومحمود صبح، نشر، ص 93–94 حيث الإشارة إلي ذلك:بقوله [فقصد بهم (أي جنوده). مدينه يابره وعليها يومئذ مروان بن عبد الملك بن أحمد فنزل عليها يوم الأربعاء لثلاث عشر خلت من المحرم وتقدم في جماعة من حماته إلي المدينة فاستدار بسورها وتأمله فرآه متطامنا لاستاره له ولا شرفات بأعلاه وبجهة من خارجه كوم مرتفع من زبول أهل المدينة قد اعتادوا إلقاءها عند أصله من داخلها علي الأيام كادت تساوي في بعض الأماكن أعلاه. فاستبانت له الصورة فيها وأطمعته في فتحها].

([2]) سحر سالم: المرجع السابق، ص 871–873.

([3]) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 181، حيث الإشارة إلي ذلك بقوله [وفي سنه ثمان عشرة (وست مئه). جدد سور أشبيليا وبني الحزام البراني وجعل الحفير دائر بالحزام]. وكذلك راجع:
una Cronica anonima de Abd Al- Rahaman III, AlNasir. Ed, Levi Provencal y Garcia Gomz, Madrid, 1950, pp. 43-44.

([4]) Pidal (Ramon Menendez) Primera Cronica General de Espana, Madrid, 1977, p. 769.

وكذلك راجع: سحر سالم، المرجع السابق، ص 872.

الإسلام في الإندلس بإقامة الأسوار الأمامية لأنها أول ما يتعرض من عناصر القورجة للهجوم. ولهذا فقد تركزت عليها معظم وسائل الدفاع بحيث أصبحت تشكل أحيانا قلاعا حقيقية قادرة علي المقاومة حتي بعد تسليم الحصن أو المدينة التي تفضي إليه إذ كان المدافعون في حالة تصاعد الأحداث يحتمون بها حتى إذا ما دخل المهاجمون الحصن أو المدينة وجدوها خالية فيندفعون ورائهم من دروب ومماشي الأسوار الأمامية كما حدث عند سقوط مدينة يابره[1].

والواقع أن تتبع دراسة مثل هذه الأسوار في مختلف مدن وحصون الأندلس في العصر الإسلامي يعد من الأمور الصعبة، وذلك الأسباب عديدة أهمها التجديدات المتوالية التي تعرضت لها هذه الأسوار فضلا عن الامتداد العمراني للمدن خلال العصور المختلفة وما تبع ذلك من هدم معظم هذه الأسوار التي أصبحت تشكل عقبة أمام التوسع العمراني كل ذلك كان من شأنه اختفاء معظم المعالم الأصلية للأسوار الأمامية. ومع ذلك نستطيع في ضوء الحقائق المستخلصة من الوثائق المكتوبة الممثلة في المصادر العربية والمدونات المسيحية فضلا عن النظرة العامة لمجموع بنيان الأسوار الأمامية في مختلف تحصينات المدن الأندلسية القول بأنها كانت تبني بمواد ذات صلابه تفوق أحيانا صلابة أسوار الحصن أو القلعة نفسها وأن العنصر المشترك في بنائها هو البناء بالطابيه [2] الذي شاع استخدامه منذ

([2]) ابن حيان: المصدر السابق، نشر شالميتا وآخرون، ص 94 حيث الإشارة [فما شعر أهل المدينة إلا وهم (أي العدو) قد دخلوا عليهم من جميع نواحيها وصاروا معهم فيها فاحتمي المسلمون عند ذلك في دفاعهم= =وشدوا عليهم شدة رجل واحد حتي أخرجوهم من داخلها وعادوا إلي سورهم فصاروا في = = اعلاه وقتلوا من العدو خلقا..... ثم كاثرهم العدو حتي قهرهم والجأهم إلي موضع بشرقي المدينة بقرب من سورها تضاقوا فيه لازدحامهم ولم يمكنهم التقلب فيه لضيقة وضغظ تراكمهم فقتلوا اجمعين].

([1]) الطابية مادة بنائية استخدمت بدلا من اللبن أو الأجر أو الحجارة وهي عبارة عن نوع من الطين المخلوط بالجص والرمل والجير وتتم حسب شرح ابن الرامي وابن خلدون بعمل فورمة الواح من الخشب

عصر المرابطين واستمر حتي نهاية عصر بني الاحمر في حين أحتفي البناء بالحجر الذي كان من أهم المميزات الشائعة في بناء أسوار مدن الأندلس في العصر الأموي [1]. ولم يعد يستخدم إلا في واجهات المباني ولكن دون أن يمنع ذلك الاستخدام الاستثنائي لكتل من الحجر الجرانيت التي تم انتزاعها من مباني رومانية وقوطيه قديمة ومتهدمه [2] علي نحو ما حدث في أسوار مدينة بطليوس التي أكد الحميري علي أنها كانت مبنية في الأصل بالتراب ثم أعيد بناؤها بالحجارة المصقوله[3].

وقد طبق في بناء هذه الأسوار المشيدة بالحجر نظام آديه وشناوي وهي طريقة في البناء عرفها الرومان وتقوم علي وضع كتل من الحجارة يطلق عليها في المصطلح المعماري آديه Saga مع قطعة أخري بالعرض في شكل متقاطع، ويطلق عليها شناوي Tizon[4] علي النحو المطبق في اسوار مدينة طليطلة ومارده[5] وهذا الأسلوب يعد تقليدا صريحا للنظام الذي كان سائدا في بلاد المشرق ومنها انتقل في القرن 4هـ/ 10م إلي الإندلس

تكبس بالطابيه قبل أن تجف بها وبعد أن تجف تنزع الألواح لبناء طبقة أخري وهكذا.ابن الرامي (محمد بن ابراهيم اللخمى) : الإعلان بأحكام البنيان، دراسة أثري معمارية، نشر وتحقيق، د. محمد عبد الستار عثمان، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 192، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة نشر المطبعة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 286، سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام نشر دار المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 503.

([3]) السيد عبد العزيز سالم: قصور اشبيليه في العصر الإسلامي، مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر، الكويت ، 1984، ص 138.

([2]) Torres Balbas: Las ciudades Hispano, t, 2, pp. 551-552.

([1]) الحميري: صفة جزيرة الإندلس منتخبة من الروض المعطار، نشر أ. ليفي برومتسال، ص 46، حيث الإشارة [وكان سور بطليوس مبنيا بالتراب وهو اليوم مبني بالكالس والجندل].

([3]) جوميث مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا ترجمة د. لطفي عبد البديع، د. السيد عبد العزيز سالم، ومراجعة د. جمال محرز، ص 496.

([5]) Creswell (K.A.C): Early Muslim Architecture umayyads, Early Abbassids and tulunids, V, II, Oxford, 1938, pp. 206.

- Pavon Maldonado: arte Toledano islamica Ymudejar, Madrid, 1973, p. 41.

حيث تجلي بشكل واضح في جدران جامع قرطبة وفي أسوار مدينة الزهراء وفي قطاع من القصر القديم بأشبيليه[1].

وبخلاف ما سبق ذكره لم تزودنا المصادر العربية بأي نصوص توضح ما كانت عليه الأسوار الأمامية باستثناء ما سبق الإشارة إليه بأن أسوار مدينة يابره حسب رواية ابن حيان [2] كانت خلو من الشرفات بأعلاها. واعتمادا علي هذه الرواية أكد الأستاذ فرناندو بالديس علي أن أسوار جميع مدن الأندلس كانت مجرده من الشرفات والدروات، وأن أول استخدام لها لم يبدأ إلا منذ عصر الموحدين عند ترميم أسوار مدينتي بطليوس ويابره[3].

ورغم أهمية نص ابن حيان الذي اعتمد عليه الأستاذ فرناندو بالديس إلا أنه من الصعب أن نقرر هذه الحقيقة في ظل غياب التفاصيل الدقيقة والشواهد المادية لهذا السور في عصر الخلافة فضلا عن عدد كبير من أسوار المدن الأندلسية، ولا يبدو منطقيا ان تظل تلك الأسوار علي أهميتها خلوا من الشرفات والدروات وهي عناصر لها قيمتها من الناحية الدفاعية فهذه الأسوار قاومت بكفاءة عاليه حركة الأسترداد المسيحي علي الأقل حتي بداية القرن 7هـ/ 13م. ولذا فليس من المستبعد أن البناه الذين أقاموا هذه الأسوار المتقنه البناء خلال الفترة من عصر الدولة الأموية وحتي بداية عصر الموحدين كانوا جديرين بأن يجعلوا لها شر فلت وهو العنصر

([1]) Terras (Henri): L'art Hispano mauresque de origines aux, XIII et siecle, Paris, 1932, p. 153.

وكذلك راجع: السيد عبد العزيز سالم: قصور أشبيليه في العصر الإسلامي، مجلة عالم الفكر، المجلة الخامس عشر، العدد، الثالث، أكتوبر، نوفمبر، ص 139.

كمال عناني أسماعيل: العمارة الإسلامية في طليطلة في العصر الإسلامي، ص 333.

([5]) ابن حيان: المصدر السابق، ص 94.

([3]) Fernando Valdes: Fortificaciones, T, IV, Madrid, 1977, p. 11-12.

وكذلك راجع: سحر سالم: المرجع السابق، ص 778.

المهم في مثل هذا النوع من المنشآت الحربية ويزيد الأمر تأكيدا أن هذه الشرفات، وجدت أمثلة لها لا تزال قائمة فوق هامات العديد من المنشآت الدينية والمدينة خلال الفترة المذكورة.

2- الأبراج البرانيه Las Torres Al-barranas

استفاد بناة الأندلس من الأسوار الأمامية في ابتكار نوع من الأبراج البرانية[1] التي استمدت اسمها من أنها تقع خارج أسوار المدينة [2]، وترتبط بها من خلال السور الأمامي العنصر الأول من عناصر القورجة، بحيث أصبحت العنصر الثاني من العناصر المميزة لعمارة القورجة فوظيفتها تقوم علي سد الطريق أو الدرب المكشوف الواقع مباشرة أدني السور الذي يمثل أضعف مناطق الدفاع عن القورجة حيث يوجد النهر أو مصدر المياه الذي يعتمد عليه المدافعين في الحصول علي المياه. وهكذا يكون الأصل في ضم الأبراج البرانية إلي القورجة فكرة عملية فهي من جهة تعمل علي حمايتها من أي عدوان خارجي من خلال وضع العراقيل أمام العدو الذي يقتحم النهر من الخارج، ومن جهة أخري تؤدي وظيفة إستراتيجية أو ما نسمية في العصر الحديث لوجستيه وهي تأمين وصول المياه للمدافعين وأهالي المدينة.

وهكذا كان استخدام الأبراج البرا رية في القورجات الأندلسية أمرا مهما يماثل أهمية استخدامها هي وغيره ا من الأبراج غير البرانية في منع الانقضاض المباشر علي مداخل أسوار المدن والحصون الأندلسية.

أما عن أصل الأبراج البرانية فيكاد يجمع علماء الآثار الأسبان علي أنها ابتكار أندلسي غير مسبوق فلا يوجد مثل باقي صريح لها في أي

([2]) كلمة البرانية أطلقت قديما علي نوع من المباني المهجورة تقع علي حدود القري والأحياء المأهولة بالسكان.
De Eguilaz (Leopoldo) Y Yanguas:, Glosasroe etimologico de las palabras Espanoles de origen oriental. Granada, 1886, p. 106.

([2]) Torres Balbas: Las torres Al Barranas, Alandalus, vol. VIII, Fasc, I, 1942, p. 216.

بناء خارج بلاد الأندلس. وذلك علي العكس من أنواع الأبراج الأخري التي استخدمت في عمارة الأندلس الحربية حيث انتقلت إليها بتأثيرات خارجية بيزنطية أو فرنسية أو إيطالية أو مشرقة إسلامية، ومن بين تلك الأبراج التي نشاهدها في تحصينات الأندلس المختلفة أبراج متعددة الأضلاع خماسية وسداسية وسباعية وثمانية وأثني عشرية فضلا عن الأبراج المستطيلة والمربعة ونصف الاسطونية والمستديرة[1].

وإذا كان الباحثون في الآثار الإسلامية الأندلسية قد اتفقوا علي نسبة الأبراج البرانية إلي بلاد الأندلس إلا أن تاريخ ظهورها في تلك البلاد لا يزال موضع جدال بين هؤلاء الباحثين . ويعتبر الأستاذ توريس بلياس أول من قام بدراسة تاريخ ظهور هذه الأبراج وأرجعها إلي عصر الموحدين (ق 6هـ/ 12م) وحذ حذوه جمهور من الباحثين أكدوا علي نسبة هذه الأبراج إلي نفس العصر [2] غير أن الأستاذ بلياس عدل عن رأيه في دراسة أخري واعتبر الأبراج البرانية مدجنه الأصل أي بعد العصر الإسلامي في الأندلس[3]. ومنذ أن أعلن توريس بلياس هذا الرأي دار الجدل حول قضية تأريخ ظهور الأبراج البرانية في بلاد الأندلس فهناك من يري أنها ترجع إلي القرن 4 هـ/ 10م[4]. ويري أخر بأنها ترجع إلي بداية القرن 5 هـ/ 10 م بحصن ترجاله قبل سقوط الدولة الأموية عام 422هـ |1030م استنادا علي شاهد قبر مؤرخ بعام 408 هـ/1017م عثر عليه بالحصن المذكور [5]. في

([1])Op cit: pp. 216-219.
- Torres Balbas: ciudades Hispano, T, 2, pp. 567-270.
- Torres Balbas: caceres y su cerca almohade, obra Dispersa, p. 464.
- Melida: Provencia de caceres, p. 231.
- Julian Alverz: el arte en extramadura, p, 174.
- Fernado valdez, op.cit., p. 87.

([2]) Torres Balbas: las torres Al Barrans, p. 218.
([3]) Torres Balbas: ciudades Hispano, t,2, p.595.
([4]) Fernando valdez: op.cit., t, 4, p. 87. apud, velo y Nieto.
([5]) Pavon Maldonado: Arquealogia Musulmana en caceres, p. 204.

حين قرر آخرون بأنها ظهرت في حصن قاصرش الذي أصبح منذ عصري الطوائف والمرابطين (448هـ/ 541/ 1056–1147م) حصنا منيعا اكتملت عناصره في عهد الموحدين[1].

وقد ناقش الأستاذ خوان ثوثايا بالاشتراك مع عدد من الباحثين كل هذه الآراء ودرسها دراسة وافية من خلال سلسلة من البحوث التي أفردها عن العمارة الحربية فى الأندلس عموما والتي يقرر فيها أن أقدم مثل للإبراج البرانية في الأندلس كان موجودا بقلعة رباح التي ترجع إلي النصف الأول من القرن 3 هـ/ 9م وتحديداً في عام 241هـ/855م[2]. وهو التاريخ الذي جدد فيه القلعة ويضيف الأستاذ خوان ثوثايا إلي ذلك أمثلة أخري ترجع إلي أوائل القرن 4هـ/ 15م مثل حصن ترجاله وتحديدا في عام 318هـ|930م أي في عصر عبد الرحمن الناصر وذلك قبل أن يتم أعادة بناء أسوارها وأبراجها في نهاية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين[3].

وإذا كان الأستاذ خوان ثوثايا يعبر عن رأي كثير من علماء الآثار الذين يؤرخون ظهور الأبراج البرانية بتاريخ متأخر كثيرا عن التاريخ الذى سبق أن حدده الأستاذ بلياس وهو عصر الموحدين قبل أن ي عدل عن رأيه

([1]) Julian villar: opcit, p. 174.

([1]) راجع الحميري: المصدر السابق، ص 163. حيث الإرشاره [وهي مدينة ح سنه لها حصون حصينه علي نهر وهي محدثه في أيام بني أميه..... وفي سنة 241هـ أمر الأمام محمد بتحصين مدينه قلعة رياح والزيادة في مبانيها].

([3]) Zozaya (Juan): Evolucion de un yacimiento el Castillo de Gormaz, Madrid. 1982, pp. 173-174.

- A. Soler y J zozaya. Castillos omeyas de planta cuadrada. Actas III. Congresao de arqueologia medieval espanol, Oviedo, 1989, pp. 265-574.

- Juan Zozaya: el lejajo tecnico de Al andalus. Revista de Arqueologia N, 5, Marzo, 1981, pp. 12-14.

ويشارك الأستاذ ثوثايا في هذا الرأي أيضا:

-Sergio Martinez (Lillo): Estio sobre ciertar elementos y estructuras de la arqiutectura militar andalusi la continuidad entre Roma Y el Islam, Boletin de Araqeologia Medieval. N.5, Madrid, 1991, p. 17, Not, 17.

معتمدين فذلك علي مقارنات لروايات وردت في مدونات مسيحية تشير إلي بقايا أسس فسروها بأنها تمثل أجزاء لأبراج برانية. فمن جانبي أري أن اللبس في تحديد تاريخ دقيق لظهور الأبراج البرانية في الأندلس قد تولد بين علماء الآثار نتيجة عدم وصول أي أثر قائم لها قبل عصر الموحدين فمن أهم النماذج التي وصلتنا من هذا العصر وتحتفظ بأجزاء هام هـمن عناصرها المعمارية الأصلية بالرغم من أعمال التجديد والإضافات وإعادة البناء التي أجريت فيها منذ إنشاؤها أبراج قصبه بطليوس وحصن قاصرش اللذان يرجع تاريخهما إلي النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م يليها برج الذهب بأشبيليه المؤرخ ببداية القرن 7هـ/ 13م. وإلي أن تظهر نتائج جديدة علينا التمسك بما نادي به قديما الأستاذ تـوريس بلياس من أن الأبراج البرانية كانت من ابتكار الموحدين لا سيما وأن الشواهد المادية تؤكد ذلك.

السمات العامة للأبراج البرانية.

علي الرغم أن ما أوردته المصادر العربية والدراسات الحديثة عن المنشآت الحربية الأندلسية يتعلق بأبراج أسوار المدن أكثر مما يتعلق بأبراج أسوار القورجات إلا أننا نستطيع القول بأنها تـعد نقطة تحول في مجال بناء الأبراج الأندلسية إذا تتميز معظم الأبراج البرانية في القورجات الأندلسية بعدة سمات عامة من حيث الشكل وأسلوب التخطيط ومواد البناء فأشكلها تراوحت مابين الشكل المربع والمستطيل، وتخطيطها تباين فهي تتألف أحيانا من طابق واحد مصمت أو مفرغ أو من طابقين السفلي مصمت دائما حتي أكثر من نصف ارتفاع هـوقد يمتد الطابق المصمت حتي ممشي السور وعند هذا المستوي يضم البرج غرفتان أحداهما تعلو الأخري وتدور حول دعامة مركزية مفرغة. وقلما تشتمل علي ثلاث طوابق ترتبط فيما بينها بواسطة سلم مبني في سمت الجدران وبذلك امتازت الأبراج البرانية

بتخطيطها المختلف عن تخطيط معظم الأبراج الأخري التي أتبع فيها التقسيم الثلاثي وهو أسلوب يعتمد علي تقسيم البرج إلي ثلاثة طوابق متكررة أو متتابعة كما أتبع في تغطية أسقف الأبراج البرانية نظام موحد قوامه قبوات نصف أسطوا نية وإذا كانت المزاغل في الأبراج التقليدية غير البرانية من أهم عناصرها فإنها لم تكن كذلك بالنسبة للأبراج البرانية إذ تميزت فيها بضيقها وقله عددها. بل أن هناك أبراج برانية لم تكن تشتمل علي هذه المزاغل وكان يستعاض عنها بدروات عريضة هرمية الشكل تتألف في الغالب من قواعد مربعة أو مكعبة يعلوها هرم ناقص يفصل بينهما طبقة من الأجر كعنصر انتقالي. ويتوسط الشرفات أو الفراغات بين الدرواي قناطن ضيقتان بمعدل واحد بكل جانب عبارة عن ميازيب الهدف منها صرف مياه الأمطار خارج البرج وتجنب تسربها. وقد تكون فتحات للرمايه بالسهام. وكانت هذه الدروات تحمي ممشي السور البراني المتصل بالبرج في حالة سقوطه في يد العدو.

واما عن مادة وأسلوب بناء الأبراج البرانية فمعظمها مشيد بالطابية فيما عدا حالات نادرة استخدمت الحجارة فقط في تشييدها– والجديد الذي نلحظه هنا في أسلوب البناء هو استخدام مداميك من الحجارة في أركان الأبراج حيث شيدت متون الأبراج أو الأجزاء الواقعة بينهما بالطابية أو بقطع من الحجارة غير المنتظمة[1]. ولإخفاء عيوب عدم التناغم بين الأجزاء المبنية بالحجارة والطابية وإضفاء طابع زخرفي علي أسطح جدران الأبراج البرانية كسيت تلك الجدران بطبقة من الملاط يختلط فيه الكلس بالجندل ثم

([1]) Torres Balbas: Ciudades Hispano, p. 590.
- Torres Balbas: Torres Al Barranas, pp. 200-216.
- Torres Balbas: Ars Hispaniae, T, IV, Arte Almohade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid, 1949, p. 37.

ترسم عليه صفوف وهمية تجعلها تبدو كما لو كانت مداميك من الحجارة[1] توحي للأعداء بصلابة البناء واخفاء المواضع الضعيفة منه[2]

وجرت العادة أن تقوم الأبراج البرانية علي أسس تشكل منصة متوازية السطوح من نفس مادة بناء البدن الأدني المصمت حتي ارتفاع الغرفة الاولى او الثلث الأخير من البرج.

ومنذ القرن 6هـ/ 12م أزدانت الأجزاء العليا للأبراج البرانية بحليات نابعة من صميم المادة المعمارية التي تتألف منها وذلك عن طريق استخدام أشرطة بارزة مزدوجة تحصر فيما بينها فراغاً بحيث تشبه إلي حد ما نهايات المآذن[3].

ونشاهد في القرن 7هـ/ 13م مرحلة حاسمة من التطور في شكل وتخطيط الأبراج البرانية حيث جمعت بين صفة البناء العسكري وبين الطابع المدني علي نحو ما سوف نوضحه بالنسبة لبرج الذهب بأشبيليه.

3- المصدر الدائم للمياه

هو العنصر الثالث من عناصر القورجة وبه تكتمل عناصرها التي تطورت تطورا أدي إلي تحديد عناصرها الثلاثية المختلفة مظهرا وتكوينا بحيث يؤدي كل منها وظيفة مختلفة إذ تشترك كل القورجات الأندلسية في ضرورة وجود مصدر دائم للمياه تنوعت أساليب نقله إليها فكان يجلب من هذا المصدر سوي كان بحراً أو نهراً أما علي ظهور الدواب أو البشر أو من خلال قنوات تحتية أو فوق الأرض شيدت بنظام دقيق بحيث يجري توزيع المياه بتلك القنوات المعبر عنها أو التي أصطلح علي تسميتها في بعض المراجع باسم القورجات الأرضية Coracha Terrestres من باب أطلاق الجزء علي الكل بحيل هندسية يمكن

([1]) Marcais (Georges): L' architecture MusuLmane d'occident, Paris, 1954, p. 224.

([3]) لوحة (13).

([1]) لوحة (14).

بها تكثير مياه القورجه ومن بين هذه الطرق جعل القورجه تتألف من صهر جبين متجاورين يمد أحدهما الأخر بالمياه أو حفر آبار متجاورة متصلة ببعضها مع اختلاف مستوياتها بهدف زيادة المياه المستمدة من النهر أو البحر أو من عين ماء[1] لا تجف مثل قورجه قلعة هنارس أو عبد السلام وقورجه قصبة المرية وقورجه مالقه وقورجه قونكه وقورجتا بطليوس وقورجه القسم العلوي من حمراء غرناطه وقورجة سبته[2] وفي ضوء ما تقدم يتضح أن توفير المياه للحصن أو المدينة كان من السمات التي ميزت بين ثلاثة أنواع من القورجات الأول سبق الإشارة إليه وهي القورجات الداخلية والثاني القورجات الأرضية التي تعتمد علي حفر عدد من الآبار خارج السور الأمامي للقورجه و التوصيل بينهما عن طريق شبكة مائية من السروب الأرضية وهي فكرة مشرقية شهدها بمدينة الفسطاط[3] نقلها المسلمون إلي بلاد المغرب والأندلس[4] وبفضل تلك السروب تمكنوا من

---

(1) تشير الروايات التاريخية إلي مدي عناية حكام المغرب والأندلس بجلب الماء العذب إلي المدن والحصون. ومن هذه الروايات ما ذكره صاحب كتاب الأستبصار عن مدينة سبته من أن ثالث خلفاء الموحدين أبو يعقوب المنصور أمر سنة 580 هـ/ 1184م بجلب الماء من قرية بليونش التي تبعد عنها بنحو (6) ستة أميال وذلك في قناة تحت الأرض (مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 137–138) كذلك يشير البكري إلي خبرة أهل سبته في استغلال الماء العذب ومد كافة مرافق المدينة بمصادر دائمة للمياه ومنها المسجد بقوله [إن الماء يجلب في قناة من نهر اويات علي بعد ثلاثة أميال من المدينة علي ضفة البحر القبلي إلي الكنسية التي هي اليوم الجامع] البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص 104.

([2]) Gonzalaz simancas (Manuel): plazas de Guerra y castillos medievales de la frontera de Portugal, Revista de Archivos, XXIV, 1911, pp. 43-49.
- Carlos Gonzalez (Cravioto): las corachas Hispano MusuLmanas de ceuta en al qantara V, I, 1980, pp. 365-380.
- Guillen Robles (.F):Malaga MusuLmana " Malaga, 1957, p. 271.
- Pavon Maldonado: Alcala de Henares Medieval. Arte islamico y Mudejar, Madrid, Alcala de Heneras, 1982, pp. 48-55.

([2]) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة. الكويت، 138 أغسطس1988، ص281.

([3]) محمود علي مكي: مدريد العربية (م ج ريط). نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص بدون تاريخ، ص 48.

استخراج المياه العذبة القريبه من الحصن دون الحاجة إلي ورود النهر أو البحر والتعرض لخطر رماة سهام الأعداء إذ كان المدافعون يتسللون من حصونهم عبر هذه السروب الأرضية إلي الآبار لجلب المياه وبذلك حلت مشكلة المياه من خلال تلك القورجات الأرضية التي ظهرت فيما يبدو لأول مرة في حصن الحنش[1] Alange.

---

(1) ورد في المقتبس لابن حيان أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط خرج لاستنزال عبد الرحمن بن الجليفى احد المارقين عليه بقلعة أو حصن الحنش. وقبل أن يقع القتال فكر في استخدام أسلوب حربي جديد لمحاربه هؤلاء المارقين بغرض التعجيل بخضوعهم. وذلك بأن جمع الجيف والميته من معسكره وأمر بإلقائها في الآبار التي يشرب منها الثوار المحاصرون حتي أمر ماؤها وداد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب. وقبل أن يهم الثوار بالاستسلام بعد أن أشرفوا علي الهلاك من العطش فطنوا إلي إمكانية حفر عدد من الآبار خارج سور حصنهم والتوصيل بينها من خلال شبكة مائية من السروب الأرضية تمكنوا بفضلها من استخراج ماء عذب معين علي مقربه من حصنهم ولم يعد لهم حاجة إلي ورد النهر. والتعرض لخطر رماة السهام بجيش الأمير محمد وبذلك حلت مشكلة المياه بالحصن فرفع ذلك من معنويتهم وعادوا إلي الامتناع والمقاومة واقاموا للأبار المحتفره جدرانا خارجية تطوقها وتحمي من يرتادها من سهام الرماه وكسوا هذه الجدران أخشابا ثقيلة مكسوة بجلود الأبقار. وكانوا يتسللون من حصونهم عبر هذه السروب الأرضية إلي =الأبار لجلب المياه وعندما بلغ الامير محمد ذلك أجتهد في منع الثوار من الوصول إليها فنصب المجانيق =وأصبح يرميهم بها ليلا ونهارا وهم يتحاشون التعرض لها لقرب الآبار من الحصن وهكذا اخفق الأمير في منع ابن الجليقي من التزود بالمياه ولم يبق أمام سوي مطاولة الثوار بالحصار طويل الأمد بغيه استنفاذ الأقوات والمؤن داخل الحصن فلا يبقي أمام المحورين سوي الاستسلام. واستمر الحصار المحكم قائما حول الحصن. وواصل الأمير خلاله قصف الحصن بحجارة المجانيق التي ركزها نحو تلك الناحية من الآبار وأصيب أثناء ذلك عدد كبير من أهل الحصن وهم في ذلك صامدون مصطبرون علي مكروه هجادون في قتاله حتي استغرق الحصار ثلاثة أشهر وعشرة ايام (ابن حيان: المقتبس من انباء أهل الأندلس تحقيق: محمود علي مكي، بيروت 1973، ص 352، 636 هامش رقم 586، كذلك راجع: سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلام وغرب الأندلس في العصر الإسلامي مؤسسة شباب الجامعة، 1989، جـ1، ص 252-253.

أما النوع الثالث من القورجات المائية فهو المعروف بالقورجات البحرية Corachas maritimas وهو أصطلاح أسباني يعني أن القورجه تتصل مباشره بالبحر أو النهر الواقع أدنى السور الأمامي وبالبرج البراني[1] اللذان يمثلان العنصر الأول والثاني من عناصرها دون الحاجة إلي التوصيل بينهما بشبكه من السروب الأرضية الممثلة في النوع الثاني الذي سبق الإشارة إليه.

وبذلك تكتمل هذه المجموعة المكونة من عناصر ثلاثة تغيرت سماتها المعمارية والألفاظ الدالة عليها وفقا لوظائفها ومراحل ظهورها كعنصر رئيسي من عناصر القورجه مما ساعد علي تصنيف القورجات إلي ثلاث أنواع تعتبر ابتكارا في تاريخ العمارة الدفاعية الأندلسية لم يسبق أن ظهر في أي فن من الفنون أو تحقق في أي بلد من البلاد بهذا الشكل الخاص الذي ظهر به في قورجات الأندلس. والتي نخص بالذكر منها النماذج التالية.

نماذج من القورجات الخارجية

سجلت المصادر العربية والمدونات المسيحية وخرائط تخطيط المدن الأسبانية أسماء العديد من قورجات حصون تلك المدن التي أصطلح علي تسميتها بالقورجات الخارجية مثل قورجه بطليوس وقاصرش واشبيليه ومالقة وقلعة جابر والمنكب وأرجون، وبمقارنة ما جاء في تلك المصادر والذي لا يتضمن شيئا عن تفاصيل بنائها ببعض بقاياها التي لا تزال قائمة في عدد من المدن الأندلسية فضلا عن المخططات العامة لتلك المدن يتضح أنها تشترك في سمات عامة أهمها التشابه الواضح ليس فقط في أشتمالها علي العناصر الثلاثية الرئيسية في تكوينها التي سبق الإشارة إليها وإنما أيضا في

([1]) Ricard (Robert): Couraca et coracha. Alandalus V XIX. pp. 160-161.
- Pavon Maldonado: coracha. Hispano Musulmanas. Ensayo semantico Arqueologico, p. 366.

أمتداد مبانيها في وضع أفقي بحيث تبدو في شكل مجموعات متباينة. ومعني ذلك أن سمات تلك القورجات متقاربة أن لم تكن متشابهه وينبع هذا التشابه من تشابه وظيفتها ولذا سوف نكتفي بدراسة أهم نماذج القورجات الخارجية التي يتجسد فيها أصاله الطراز المعماري الذي ساد أنظمتها.

1_ قورجة بطليوس[1].

حظيت قورجة بطليوس بأهمية كبيرة وذلك لأن مدينة بطليوس كانت هدفا لموجات المد المسيحي التي لم تنقطع من جانب مملكتا ليون والبرتغال بحكم أنها كانت من بين المراكز الثغرية العظمي في الأندلس [2]. وتبرز الأهمية الإستراتيجية لقورجة قصبة بطليموس في أنها تحميها من الجهة الشمالية الشرقية عند التقاء نهر وادي يانه[3] في الجهة الشمالية بنهر الريفياس من الجهة الشرقية[4] بحيث يمتدان معا تحت أقدام السور الشمالي الشرقي للقصبة.

([1]) شكل (12).

([2]) لمزيد من التفاصيل عن مدينة بطليوس راجع:

سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي. جـ1، التاريخ السياسي. نشر مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص 162 وما بعدها.

([3]) الأدريسي: نزهة المشتاق، ص 542–543، حيث الإشارة إلي هذا النهر بقوله [وهو نهر مارده وبطليوس وعليه حصن مارتله المشهور بالمنعة والحصانة وحصن قسطله من نحر البحر وهو عامر آهل وله بساتين وغلات شجر التين كثيرة].

(4) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مطبعة مصر، القاهرة، 1956، ص 298–299.

ففي تلك الجهة أي الشمالية الشرقية أقام الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1] سور أمامي مزدوج يمتد أدني قاعدة السور الرئيسي في مستوي الطريق الذي يدور بأدناه والذي يحميه حفير عميق يمكن لمياه نهر ريفياس أن تصل إليه من الجهتيين القبليه والغربية ثم تجري نحو وادي يانه أو آنه لتصب فيه تحت القنطرة الكبري بحيث تجعل القصبه علي هذا النحو معزولة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال بابين معقودين بعقدين متجاوزين[2] ا لأول يشكل جسر صغير يستخدم كمرقاه لصعود مرشي السور الأمامي والثاني يفتح علي سلم مجاور لبرج القورجة البراني المعروف ببرج الطليعة Atalaya أو برج اسبنتابروس Torre de Espantaperros الملتحم بالسور الرئيسي من خلال سور أمامي طوله 23.85م[3].

---

(1) استنادا علي نص ابن صاحب الصلاه الذي سبق الإشارة إليه بخصوص قورجه قصبه بطليوس نسب مؤرخو الفن بناء قصبة بطليوس إلي الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي شرع في تحصين المدينة وتأمين وصول المياه إليها بواسطة القورجة المذكورة (ابن صاحب الصلاه. المن بالإمامة، ص 306–307)، وتقوم القصبة علي مرتفع يعرف باسم الضرس يبلغ ارتفاعه نحو ستين مترا. يشرف علي المدينة ووادیها ويحيط بالقصبه سور بيضي الشكل طوله 400م ومتوسط عرضه 200م ومحيطه حوالي 2700قدم.

-Torres Balbas: La Alcazaba almohade de Badajoz Al andalus ,vol. VI, Fasc, I, . pp. 61-63.

- Torres Balbas: Ars Hispaniae. T, IV, p. 34.

- Marcais (Georges): L' architecture musulmane d'occident, p. 224.

السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985، ص 241.

(2) لوحة (9).

(3) Torres Balbas: Ciudades Hispano, p. 591.

- Torres Balbas: Ars Hispaniae, T, IV, p. 37.

وعلاوة علي هذين البابين يوجد باب خوخه [1] يتم من خلاله النزول إلي النهر عقده علي شكل حدوة الفرس سنجاته تتناوب فيها كتل الحجارة مع قطع الأجر[2] التي اختفت الآن.

وتتجلي القيمة الدفاعية لهذا البرج في أنه ليس فقط أحد عناصر القورجة الهامه. ولكن أيضا في أنه يحمي القصبه ويراقبها في جانبها الضعيف، ومن هنا أستمد اسمه وهو برج الطليعة أو المرقب أو الناظور [3] بحيث يمكن أن ينسب إليه وظيفة المنار أو المئذنة تجاوزا وفقا لما أنتهي إليه أحد مؤرخو الفن[4].

ومع أن هذا البرج قد اختفي تحت طبقات عديدة من الإضافات المدجنة إلا أن صورة القديمة والحديثة فضلا عن المخطط الذي وضعه الأستاذ توريس بلياس للطابق الأدني منه[5] يوضح من أول نظره له أنه برج ضخم مثمن الأضلاع من الداخل والخارج يبلغ قطره 11م[6]. يعلوه بناء مربع الشكل يرجع إلي عصر المدجنين [7]. وهو مقسم إلي قسمين أدني مصمت يمتد حتي ممشي السور الأمامي، وعلوى مجوف يضم غرفتان أحدهما تعلو الأخري وكلاهما يدور حول دعامة مركزية مربعة بداخلها غرفة مربعة أيضا مغطاة بقبوه متقاطعة. ويتم الدخول للقسم الثاني من البرج

([1])لوحة (10).

([2]) Marcais, L'architecture Musulmane, p. 224.

([2]) لوحة (11، 12).

([4]) Fernando Valdez: op.cit., p. 99.

([5]) لوحة (11، 12)، شكل (41).

([6]) Marcais: op.cit., p. 224.

([7]) يبلغ ارتفاع هذا البناء حوالي 8.51م وربما أقيم ليكون برجا للنواقيس في القرن السادس عشر الميلادي.

- Torres Balbas: ciudades Hispano, t, 2. p. 487.
- Torres Balbas: Ars Hispaniae, t, IV, p. 37.

عن طريق ممر صغير يقود إلي ممشي السور الذي كان يربطه به عقد نصف دائري محفوظ الآن في المتحف الأهلي للآثار بمدينة بطليوس [1] ويقوم البرج علي منصة من نفس مادة البناء متوازيه السطوح وينفتح في جوانب ثلاثة من جدرانه طابقين من غرف ذات قبوات نصف أسطوانية بها مزاغل لرمي السهام [2] إحداهما تسمح برمي السهام إلي الأمام والأخرا يان جانبيتان.

والبرج كله مشيد بملاط شديد الصلابة رسمت عليه خطوط وهميه تمثل مداميك البناء [3] بحيث توحي بأن البناء من الحجارة التي لم تستخدم ألا في الأبواب[4].

وفي ضوء الوصف الموجز لهذا البرج تتجسد القيمة الدفاعية والوظيفية لقورجة قصبه بطليوس في أنها كانت تغلق الفراغ المحصور بين أسوار الواجهة الشمالية الشرقية للقصبه والنهر من خلال السورين أو الستارتيين اللتان تهبطا عند التقاء نهرا وادي يانه الذي يحمي القصبة من الجهة الشمالية بأحد روافده وهو نهر الريفياس الذي يحميها من الجهة الشرقية. وكان الخروج من داخل القصبه إلي ذلك الفراغ الخارجي المسور يتم من خلال بابين أو خوختين معقودتين في الجدار الرابط بين السور الرئيسي والسور الأمامي بينهما فراغ علي شكل فناء صغير يتم التحكم فيه من أعلي برج الطليعة البراني المعروف باسم اسبنتابروس.

([1]) Julian Alvaraz: el arte en extramadura, pp. 174-175.
- Torres Balbas: Ars Hispaniae, pp. 34-37.
([2]) Torres Balbas: Ars Hispaniae, t, IV, p. 37.
- Torres Balbas: Ciududes Hispano, t, 2, pp. 487-488.
- Marcais: op.cit., p. 224.

([3]) لوحة (12).

([4]) Marcais, op.cit., pp. 224-225.

2- قورجة قصبه قاصرش

قاصرش مدينة رومانية قديمة أمكن الاستدلال علي أصلها الروماني من خلال ما تم العثور عليه من أسس لأسوار ترجع إلي العصر الروماني أقيم علي جزء كبير منها أسوار المدينة في العصر الإسلامي[1].

وتقوم مدنية قاصرش الإسلامية علي سفح جبل متفرع من سلسلة جبال تمتد من الشرق إلي الغرب علي الضفة اليسري من نهر تاجه [2]. وقد ذاعت شهرتها العسكرية كثغر أمامي يعترض القوات الليونيه عند مرورها من نهر تاجه إلي وادي يانه منذ عصري المرابطين والموحدين[3].

وكان السور الروماني الذي يحيط بقاصرش في العصر الإسلامي قد تهدم في بعض أجزاءه وتفتحت المدينة للداخلين إليها والخارجين منها. فأعاد الموحدون بناء النطاق المسور للمدينة بالطابية، والذي أتخذ في مجملة شكل رباعي مستطيل تقريبا طوله من الشمال إلي الجنوب 385م ومن الشرق إلي الغرب 187م[4] وبذلك تحولت المدينة إلي قلعة حصينة زودها الموحدون بكل الوسائل الدفاعية [5]، والتي من أهمها القورجة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية منها فهي أكثر الجهات ضعفا لافتقادها لوسائل الدفاع الطبيعية، ولذلك حرص الموحدون علي تزويدها بأسوار وأبراج القورجة التي يرجع تاريخها إلي بداية القرن 7هـ/ 13م حيث يخرج من

([1]) Torres Balbas: Ciudades Hispano, t, 2, p. 482.

([2]) الأدريسي: المصدر السابق، جـ 2/ ص 551، حيث الإشارة إلي حصن قاصر بقوله [وهو حصن منيع محرس رفيع فيه خيل ورجل يغارون في بلاد الروم].

([3]) لم تكن قاصرش مدينة شهيرة ذات شأن في العصر الإسلامي. ولم تحظ بعناية الرحالة والمؤرخين المسلمين في الأندلس إلا منذ القرن 4هـ/ 10 – إلي القرن 7هـ/ 13م. (راجع: السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 95.

([4]) Torres Balbas: Caceras Ysu Cerca, p. 135.

([5]) شكل (42).

النطاق المسور للمدينة فى الزاويتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية سورين او ستارتين طول كل منهما حوالي 11.90م [1].تتصلان بوادي نهر تاجه من خلال برجين مثمنين/من النوع البرانى. **الاول** : مستدير يعرف بالبرج المدور Torre Redonda [2] ويقوم هذا البرج علي قاعدة مربعة الشكل فتحت في كل زاوية من زواياها الأربعة طاقات مثلثة ترسم صورة عقود مدببة بحيث تتحول بواسطة تلك الطاقات إلي بدن مثمن ارتفاعه حوالي 6.75م[3] مقسم إلي طابقين أدني مصمت حتي أكثر من نصف ارتفاعه ثم مجوف بعد ذلك بداخله دعامت ين واحدة علي شكل حرف T والثانية مصلبة يعلوهما عقد ين نصف دائريين[4] ويتوج ضلوع البرج الثمانية دروات مربعة الشكل.

أما البرج الثاني الذي يمثل أحد عناصر القورجة فيقع في الجهة الجنوبية الغربية ويعرف بالبرج المشطوف Torre Desmachada لأنه مبتور الرأس والقاعدة [5] وهو أكبر حجما من البرج المدور، وكان يتقدم السور الرئيسي ويرتبط بالسور الأمامي الذي يبلغ طوله 11.90م المطل علي النهر بحيث يؤلف علي هذا النحو قورجة المدينة التي لم يبق منها سوي أثار قليلة. وتتركز أهمية هذا البرج في أنه يختلف شكلا ونظاما عن معظم أبراج القورجات الخارجية فهو مقسم من الداخل إلي ستة أقسام متعامدة الأول والثاني من أسفل مربعا الشكل يغطي كل منها قبوة

([1]) op cit: p. 143.
- Marcais: L' architecture Musulmane, p. 224.

([2]) لوحة (13).

([3]) Melida. Provencia de Caceres, p. 231.

([4]) شكل (43).

([5]) لوحة (14)

متعارضة [1] أما بقية الأقسام الأربعة فتأخذ شكل شبه منحرف مسقوفة بقبوات نصف أسطوانية كما يختلف هذا البرج عن نظائره من الأبراج في عدة جوانب أهمها أنه لا ينفتح فيه مزاغل أو غرف لرمي السهام، ولا يتوجه دروات. أما قاعدة البرج فلم تعد تتخذ شكل المنصة المتوازية السطوح وأنما حل محلها قاعدة مربعة جوانبها الأربعة مشطوفة في شكل مثلث أعتمد المعمار عليها بشكل رئيسي في الانتقال من الشكل المربع إلي بدن البرج المثمن ومع أن قاعدة هذا البرج تشبه في شكلها العام قاعدة البرج المدور غير أنها تختلف عنها ووجه الخلاف بين القاعدتين ينحصر في وسيله الانتقال من المربع إلي المثمن ففي قاعدة البرج المدور تتكون من طاقات مثلثة مجوفة يمتطي أعلاها عقود مدببه أما في قاعدة البرج المشطوف فهي علي شكل مثلث مصمت قاعدته إلي اعلي ورأسه المدببة إلي أسفل.

أما عن تاريخ قورجة قاصرش فقد أسفرت بحوث علماء الآثار عن التأكيد من أنه بمقارنة قصبة بطليوس بقصبة قاصرش نلاحظ أنهما يتفقان في القواعد العامة لبناء القورجة ولكنهما يختلفان في بساطة التفاصيل الخاصة بالسور الأمامي والبرج البراني في كل منهما. وعلي هذا الأساس فهما يرجعان إلي فترة زمنية واحدة وفقا لما أنتهي إليه معظم مؤرخو الفن[2].

3- قورجة اشبيلية

([1]) يطلق علي هذا النوع من القبوات في المصطلح الأسباني اسم Boveda de aristas. وهي عبارة عن قبو تين يتخلف عنهما أربعة ضلوع بارزة متعارضة بينها جوفات مثلثة (راجع: مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص 491).

([2]) Julian Alvarz villar: el arte en Extramadura, p. 143.
- Melida: op.cit., T, I, pp. 231-232.
- Marcais: op.cit., p. 224.
- Torres Ballas: Caceres ysu cerca, p. 143.
- Torres Balbas: Ars Hispaniae, vol, V, p. 32.

أشبيليه مدينة أيبرية قديمة فتحها الرومان عام 205 ق.م. وازدهرت في عهدهم وازدات أهميتها بالنسبة لهم فأعادوا بناء أسوارها بعد أن أتسع نطاقها[1]. وظلت تلك الأسوار تؤدي وظيفتها بعد الفتح الإسلامي [2]. إلي أن زاد عمرانها وتجاوز سورها الروماني القديم فأشار الوزراء علي الأمير عبد الرحمن الأوسط ببناء سور أشبيليه [3] الذي ظل قائما إلي أن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدمه ليضمن خضوع المدينة. ثم أحيطت أشبيليه مرة أخري بسور من التراب (الطابيه). في زمن الفتن البربرية [4] في مطلع القرن 5هـ/ 11م[5]. وعندما أستولي المرابطون علي المدينة زاد أتساعها وأصبحت الأسوار لا تفي بحاجاتها الدفاعية لاسيما بعد أن

([1]) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، ص 110.

([2]) تم فتح أشبيليه علي يد موسي بن نصير عام 93/ 711م (راجع: ابن القوطيه) (أبو بكر محمد القرطبي): تاريخ افتتاح الأندلس. نشر إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولي، القاهرة، 1982، ص 35.

([3]) البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو): جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك: تحقيق عبد الرحمن الحجى. بيروت، 1967، ص 112، حيث الإشارة [وكان سور أشبيلية من بناء الأمام عبد الرحمن بن الحكم بناه بعد غلبه المجوس (يقصد النورمان) عليها بالحجر احكم بناء].

([4]) البكرى : المصدر السابق . ص 114، حيث الإشارة [وبني سور المدينة في الفتنه بالتراب وله من الأبواب باب أبي القليص غربي ومنه الخروج إلي الشرق وباب حميده غربي أيضا بإزاء المقبره وباب قرمونة شرقي].

(5) أندلعت نيران الفتنه في سنة 399هـ/1009م واستمرت حتي سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة 422هـ/ 1030م حيث تعرضت قرطبة خلال تلك الفترة لنقمة الثأ رين من سفال أهلها من البربر الذين أنقلبوا علي أهلها فاستباحوا دماءهم وعاثوا فسادا في جنباتها وشمل الخراب معظم عمائرها علي أيام سليمان المستعين بعد أنتصاره علي المهدي في موقعه وادي آره (لمزيد من التفاصيل راجع: ابن عذ اري: البيان المغرب نشر الاستاذان ليفي بروفنسال. و.ج.س. كولان، الطبعة الثالثة، بيروت، 1983، ص 42-452.

تعرضت أجزاء من تلك الأسوار للهدم علي أثر الحملة التي قادها الفونسو السابع ملك ليون عام 526هـ/ 1132م علي المدينة مما أضطر قاضيها أبو بكر بن العربي[1] إلي أعادة بناء تلك الأجزاء وتقوية القطاع الموازي لضفة نهر الوادي الكبير في عام 528هـ/ 1133م بسور أمامي يدعم السور الرئيسي علي اعتبار أن هذا القطاع كان أكثر قطاعات الأسوار ضعفاً، ولسوء الحظ أن هذا السور قد تعرض للهدم أكثر من مره بعد ذلك إذ كان أكثر الأجزاء تعرضا للاضرار نتيجة السيول ال عنيفة غير أن حرص خلفاء الموحدين علي بقاء هذا القطاع وتقويته جعلهم يعيدون بناؤه كلما تهدم. ففي عام 564هـ/ 1168م تعرض السور لسيل عنيف ادي إلي تدميره [2] فقام الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بإعادة بناءه سنة 567هـ/ 1171م ثم تعرض في عام 597هـ/ 1200م لسيل أخر أثر علي أجزاء منه [3] فقام أبو العلاء أدريس [4] بترميم السور و تقويته وشيد قبالته سور أمامي و حفر بامتداده خندق[5]. ويبدو أن هذا السور كان من الاتساع والامتداد بحيث أنه

([1]) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري. المكني بأبي بكر. وعنه يقول النباهي [كان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها استقضي بمدينه اشبيليه فقام بها أجمل قيام ولي القضا مدة أولها رجب من سنة 538هـ (لمزيد من التفاصيل راجع: النباهي (ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن): تاريخ قضاة الأندلس. تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983، ص 105–107].

(2) ابن صاحب الصلاه: المصدر السابق، ص 166.

([3]) الحميري: الروض المعطار، ص 21.

([4]) بويع أبو العلا، أدريس باش بيليه يوم الخميس ثاني شهر شوال من سنة 624هـ/ 1226م وتوفي ي ذي الحجة سنة 629هـ/ 1231م (ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 274.

([5]) Salem (El Sayed Abdel Aziz: Obras almohades en la Muralla Al moravide de Sevilla, Revista del instituto Egipcio de Estudios islamicas de Madrid, V, XX, 1979, pp.176-180.

أنه كان يكفي وحده لتطويق مدينة أخري علي حد تعبير الفونسو العاشر العالم في وصفه لهذا السور [1] المعروف بالقورجة، والذي ينتهي ببرج شهير يعرف ببرج الذهب بناه أبو العلاء أدريس بن أبي يوسف بن أبي يعقوب المنصور [2] بحيث يغلق الطريق أو المدخل المؤدي إلي دار صناعة أشبيليه[3] وقد تهدم هذا السور ولم يبق منه الأن أي أثر بحيث أصبح البرج معزولا عن قورجته علي حافة نهر الوادي الكبير[4].

ويختلف برج الذهب عن غيره من الأبراج البرانية الخاصة بالقورجات الأندلسية في أنه جمع بين الصفتين العسكرية والمدنية إذ أن البرج مع السور المتصل به والمعبر عنهما بالقورجة كانا في الأصل إداة وصل بين المدينة والخارج مباشرة إلي أن أتسع العمران الإشبيلي وزاد نموه ونشطت العمارة فيه بعد أن أصبحت أشبيبله حاضرة دولة الموحدين في الأندلس وأمهرها خلفاء الموحدين بأنواع شتي من الأبنية بحيث اتصلت بسور القورجة فتحولت بذلك القورجة إلي وسيلة اتصال بين المركز العمراني الجديد (المعبر عنه في المصادر العربية بالقصبة البرانية أو الخارجية التي أقيمت خارج باب الكحل وكانت تحيط بدار الصناعة وتبدأ حسب تحديد ابن

([1]) Primera Cronica General de Espana. Ed. Ramon Menendz Pidal, Madrid, 1977, p. 769.

وكذلك راجع: سحر سالم: مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية، ص 873 هامش (1).

([3]) ابن عذاري: البيان المغرب قسم الموحدين، ص 291. حيث الإشارة [وكان ذا نظر سديد ورأي مبارك رشيد وهو الذي بني باشبيليه حين وليها برج الذهب].

([4]) السيد عبد العزيز سالم: معالم قرطبة في شعر ابن زيدون، فصلة من مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، المجلد الثاني والعشرين، مدريد، 1983–1984، ص 36.

([5]) لوحة (15). هدمت القورجه سنة 1821م لتوسيع المدينة وفتح الطريق الممتد موازية لنهر الوادي الكبير وهو الطريق المعروف الآن بطريق كريستوفو كولومبس لذلك لم تسجل القورجة بخريطة أشبيليه عام 1832م (راجع: أسامه طلعت: الاستحكامات الحربية الإسلامية في أشبيليه وضواحيها حتي سقوط الموحدين. مخطوط رسالة دكتوراه، القاهرة، 1998 ص 209.

صاحب الصلاه لها من رحبه ابن خلدون حتي الرجل السفلي المتصلة بباب الكحلوبين قصبة المدينة الداخلية(6).

أما عن الشكل العام لبرج الذهب وتكوينه الداخلي فهو من نوع الأبراج متعددة الأضلاع التي وصلت إلي الأندلس في عصر الخلافة بتأثير من العمارة البيزنطية [1] وكان من أول نماذجها برج حصن العقاب بمدينة جيان الذي يتألف من ستة أضلاع [2] ثم تضاعف هذا العدد فبلغ في برج الذهب أثني عشر ضلعا تتراوح أطوالها ما بين 4.10م و 4.20م وقطرها 15.20م.

ويتألف البرج من قسمين أو نصفين يحتفظ التخطيط الداخلي لكل منهما بنفس التخطيط الخارجي متعدد الأضلاع الذي نشهده من الخارج. والقسم الأدني من البرج أكبر من القسم العلوي، ويتألف من ثلاث طوابق متعامدة متكررة التخطيط[3]. وهو أمر نادر الحدوث مما ساعد علي انتظام الشكل العام للبرج بحيث نلاحظ أن محور القاعدة يتعامد تماما مع القسمين الأدني والعلوي من البرج، ويتوسط القسم الأدني من البرج بطوابقه الثلاثة دعامه مركزية سداسية الأضلاع بداخلها سلم صاعد يفضي إلي سطح القسم الأول، ويشغل جدران هذا القسم حجرات للرمايه تنفتح بأضلاعها مزاغل تشرف علي خارج البرج مقسمة إلي قطاعات مستطيلة ومثلثة بالتناوب يبلغ ارتفاعها حوالي 1.90م.

أما القسم العلوي من البرج فيشبه القسم السفلي في احتفاظه بالتخطيط متعدد الأضلاع وبالسلم الصاعد في حين يختلف عنه في أنه أصغر حجما، وفي أنه لا يشتمل علي غرف للرماية.

([1]) Torres Balbas: ciudades Hispano, t, II, p. 580.

([2]) Terrasse : L' art Hispano Mauresque des origines aux III, siecLe ، ، pp. 160-161.

([3]) شكل (44).

ويزدان الجزء العلوي من البرج بحليات نابعة من صميم المادة المعمارية التي يتألف منها قوامها أشرطة بارزة مزدوجة تحصر بينها فراغات بحيث تشبه إلي حد ما نهايات المآذن. وينتهي البرج من أعلي بسطح مشرف بدروات عريضة تتألف من قواعد مربعة يعلوها شكل هرم ناقص، ويقوم علي هذا السطح بناء مستدير مدجن الإنشاء ربما أقيم ليكون برجا للنواقيس من القرن الثامن عشر عند تجديد البرج عام 1760م[1]. ويتم الدخول للبرج في باب أصلح حديثا ينفتح في الضلع الشمالي الشرقي منه أما عن أسلوب بناء هذا البرج فبينما ندر استخدام الحجر في بناء أبراج الموحدين البرانية وساد فيها استخدام الطابية نجد أن البناه هنا استعانوا بالحجر في بناء قاعدته وزواياه في حين شيدت جدرانه المحصورة بين تلك الزوايا بالطابية.

وهكذا يكشف لنا تصميم وأسلوب بناء برج الذهب عن أن أبرع عرفاء البناء تولوا الأشراف علي بنائه وأنهم استخدموا أجود مواد البناء في تشييده بدليل أن جدرانه لا تزال شامخة حتي الآن تؤكد لنا روعة الفن المعماري الموحدي الذي جمع بين الصلابة وجمال الأسلوب الفني.

وبخلاف قو رج ة برج الذهب تبقي من سور أش بيليبه جزء يعرف بسور مقرنه[2] الذي كان بمثابة قورجة ثانية أقامها أبو العلاء أدريس ليربط بين القصبتين الداخلية والبرانية أو القديمة والجديدة. إذ كان يتقدم هذا السور سور أمامي ينتهي ببرج مربع يعرف بالبرج الأبيض او برج الفضة [3]. يتألف من طابقين أدني مصمت حتي ارتفاع ممشي السور وعلوي يشغله غرفتان

([1]) Torres Balbas: Ars Hispaniae, pp. 38-39.

([2]) لوحة (16).

([1]) لوحة (17).

تعلو أحدهما الأخري فتحت بهما مزاغل [1]. وبداخل البرج درج يفضي إلي أعلاه بحيث يشرف علي الأسوار ويدور بأعلي البرج شرفات أو دراوي مستطيلة الشكل[2].

وفي ضوء ما تقدم يتضح:

أولا: أن نظام القورجه كان وليد أفكار متطوره ومبتكرة في أنظمة الدفاع الأندلسية وأن أول حلقة من سلسلة التطور لهذا النظام ظهرت في عصر الموحدين ممثلة في قورجة قصبة بطليوس ثم تبلورت فيما بعد في العديد من القورجات الأندلسية.

ثانيا: أنه علي الرغم من أن هذا النظام كان موضوعا لبعض الدراسات العلمية إلا ان هذه الدراسات لم تميز تميزا دقيقا بين عناصره الرئيسية وهذا ما حاولت القيام به من خلال دراستي التفصيلية لكل عنصر من عناصرها الثلاثة. واثبت حقائق لم يذكرها أحد من مؤرخي الفن منها التميز بين الألفاظ الدالة علي القورجه وفقا لوظيفتها العسكرية كوحدة بنائية تتمثل في بناء حصن يمكن أن يكون داخل القلعة أو خارجها وفي هذه الحالة يكون متصلا بسورها الرئيسي أو منفصلا عنه تماما وبحيث يؤدي دورا دفاعيا بحتا.

ثالثا: أن تصميم القورجه يمثل نظاما جديدا غير مسبوق في تاريخ العمارة الدفاعية. فقد فندت ادعاءات بعض مؤرخي الفن الذين حاولوا التأكيد علي أن هذا النظام قد أستم د أصوله من أمثلة خارج الأندلس وأثبت أن عمارة هذا النظام وتخطيطه قد تطورت تطورا منطقيا من نظام الأسوار الأمامية والأبراج البرانية التي ظهرت قبل ظهور نظام القورجة.

([2]) شكل (45).

(3) لوحة (17).

رابعا: أمكن من خلال الوصف الرائع الذي زودنا به ابن حيان عن حملة الأمير محمد علي قلعة الحنش الاستدلال علي أن عرفا، الأندلس نجحوا في أن يجعلوا من القورجه مقرا مناسبا لتعبئة الجنود للامتناع والمقاومة فضلا عن امكانية التسلل من القورجة عبر سروبها الأرضية إلي الأبار لجلب المياه بعيدا عن سهام الرماه.

خامسا: علي الرغم من أن بناه قورجه أشبيليه استرشدوا في تخطيطها بأنظمة القورجات سالفة الذكر إلا أنها تميزت عنها في أنها ربطت بين المركز العمراني القديم للمدينة والذي يمثله قصبتها الداخلية وبين المركز العمراني الجديد الذي يمثله القصبة الخارجية أو البرانية وربما لهذا السبب تداخلت في هذه القورجة لحمايتها برجين بدلا من برج واحد وه ما برج الذهب وبرج الفضة.

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية

اولا المصادر العربية

(1) ابن ابى زرع(ابو الحسن على بن عبد الله الفاسى) : الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار مدينة فاس.المطبعة الفاسية 1305 هـ

(2) البكرى(عبيد الله بن عبد العزيز) :المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب من كتاب المسالك والممالك مكتبة المثنى بغداد مصورة من طبعة دى سلان الجزائر 1857

(3) ابن الرامى (محمد بن ابراهيم اللخمى) :الاعلان بأحكام البنيان .دراسة اثرية معمارية .نشر وتحقيق .د،محمد عبد الستارعثمان .دار المعارف الجامعية اسكندرية 1989

(4) ابن عذارى (ابو عبد الله محمدالمراكشى) البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب :نشر الاستاذان ليفى برفنسال وج س كولان الطبعة الثالثة بيروت 1983 ؛القسم الخاص بعصر الموحدين تحقيق محمد ابراهيم الكتانى واخرون

(5) الادريسى (الشريف محمدبن عبد العزيز) :نزهة المشتاق فى اختراق الافاق نشر المكتبة الدينية بورسعيد بدون تاريخ

(6) الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) :صفة جزيرة الاندلس ،نشر بروفنسال بيروت الطبعة الثانية 1988

(7) ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف):كتاب المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس تحقيق بدرو شالميتا وكورينطى ومحمود صبح نشر المعهد الاسبانى العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الاداب بالرباط مدريد 1979

(8) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) :المقدمة نشر المطبعة المصرية القاهرة بدون تاريخ

(9) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) :المن بالامامة تحقيق عبد الهادى التازى ؛دار الغرب الاسلامى الطبعة الثالثة بيروت 1987

(10) النويرى (احمد بن عبد الوهاب محمد) :نهاية الارب فى فنون الادب .تحقيق احمد كمال زكى ومحمد مصطفى زيادة نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980

ثانيا المراجع العربية والمعربه

(1) احمد فكرى: مسجد القيروان .مطبعة المعارف بمصر 1936

(2) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الاندلس ؛مؤسسة شباب الجامعة اسكندرية 1985

(3).....:قصور اشبيلية فىالعصر الاسلامى مجلة عالم الفكر المجلد الخمس عشر . العدد الثالث اكتوبر نوفمبر ديسمبر . الكويت 1984

(4)سحر السيد عبد العزيز سالم :تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب العالم الاسلامى نشر مؤسسة شباب الجامعة .اسكندرية1991

(5)سعد زغلول عبد الحميد :العمارة والفنون فى دولة الاسلام .دار المعرفة اسكندرية .بدون تاريخ

(6)محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال .دراسةتاريخية اثرية القاهرة 1965

(7) محمد عبد الستار عثمان :المينة الاسلامية .عالم المعرفة الكويت عدد 122 اغسطس 1988

(8) محمود على مكى :مدريد العربية (مجريط) .نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة بدون تاريخ

ثالثا: الرسائل العلمية :

(1) أسامة طلعت :الاستحكامات الحربية الإسلامية فى اشبيلية وضواحيها حتى سقوط دولة الموحدين .مخطوط رسالة دكتوراة .جامعة القاهرة 1998

(2)حنان عبد الفتاح مطاوع : الزخارف المحفورة على الرخام والحجر فى عصر الدولة الامية بالاندلس وعصر دويلات الطوائف مخطوط رسالة ماجستير حامعة الاسكندرية 1991

(3) سحر السيد عبد العزيز سالم :التاريخ السياسلمدينة بطليوس الاسلامية منذ تأسيسها حتى سقوطها فى ايدى الليونيين مخطوط رسالة ماجستير جامعة اسكندرية 1984

(4)..... :مظاهر الحضارة فى بطليوس الاسلامية.مخطوط رسالة دكتوراة .جامعة اسكندرية 1987

(5) كمال عنانى اسماعيل :العمارة الاسلامية فىطليطلة فى العصر الاسلامى مخطوط رسالة ماجستير جامعة اسكندرية 1989